من بلاغة النبي العدنان في حديثه عن فتن آخر الزمان فيما اتفق عليه الشيخان.

د/ فاطمة عبد المجيد عبد المجيد هنداوي جعفر
أستاذ مساعد بلاغة ونقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الخامس الجزء الأول ٢٠٢٠م

من بلاغة النبي العدنان في حديثه عن فتن آخر الزمان فيما اتفق عليه الشيخان.

فاطمة عبد المجيد عبد المجيد هنداوي جعفر

قسم البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

البريد الإلكتروني : FatmaHindawy1507.el@azhar.edu.eg

الملخص

هذا البحث في مجال البلاغة النبوية، في موضوع الفتن وعلامات قرب الساعة، جاء في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث.

اشتمل البحث على دراسة بلاغية لـ٢٢ حديثا موزعة على المباحث الثلاثة، فكان المبحث الأول في ستة أحاديث تصور حدوث الفتن، ومواطنها، والواجب على الناس حين ظهورها، وتنص على خراب الكعبة، وما سيحدث في الإمارة، وتمني الناس الموت.

أما المبحث الثاني فكان في سبعة أحاديث تخبر بكثرة القتل والخسف وخروج نار من أرض الحجاز.

والمبحث الثالث فكان في ثمانية أحاديث تخبر بكثرة الكذابين وقرب خروج الدجال ويأجوج ومأجوج.

ثم الخاتمة وفيها نتائج البحث، ثم ثبت المصادر

الكلمات المفتاحية : بلاغة – العدنان – فتن – الزمان – الشيخان

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الخامس الجزء الأول ٢٠٢٠م

From the rhetoric of the Prophet Adnan in his discussion of the temptation of the end of time, as the two sheikhs agreed.

Fatima Abdul Majeed Abdul Majeed Hindawi Jaafar

The Department of Rhetoric and Criticism at the Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Cairo

E-mail: FatmaHindawy1507.el@azhar.edu.eg

Abstract:

This research is in the field of prophetic rhetoric, on the topic of sedition and signs near the hour (the end of the world). The research is divided into an introduction, a preface and three chapters.

The research included a rhetorical study of 22 hadiths distributed among the three chapters, so the first chapter handled six hadiths depicting the occurrence of temptations (disorders), its habitats, and the duty of people when they emerged, and stating the ruin of the Kaaba, and what will happen in the emirate, and people's wish to die. As for the second chapter, it included seven hadiths informing about the abundance of the killing, the loss, and the exit of fire from the Hijaz land.

And the third chapter handled eight hadiths informing the large number of liars and the imminence of the Antichrist's and Gog and Magog's coming. The conclusion contained the results of the research then came the references.

Keywords: eloquence - Adnan - Faten - Time – The two sheikhs

مقدمة

الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الشفيع يوم لا شفيع، الذي صدق من قال الله فيه: "بالمؤمنين رؤوف رحيم".

وبعد

فهذا بلاغي في أحاديث سيد البلغاء، وأفصح الناطقين بلغة الضاد، صاحب المقام الأعلى، والبيان البشري الأسمى، في موضوع تظهر أماراته، ويتجلى كل يوم صدق إخباراته، ألا وهو الحديث عن الفتن وأشراط قرب الساعة وانتهاء الزمان.

وهو بعنوان: **من بلاغة النبي العدنان في حديثه عن فتن آخر الزمان فيما اتفق عليه الشيخان.**

تناولت فيه من أحاديث النبي الرحيم عليه صلوات الله وسلامه أجمعين، في هذا الموضوع، معتمدة على كتاب "اللؤلؤ والمرجان فيما تفق عليه الشيخان" جمع محمد فؤاد عبد الباقي، حيث اتبع ترتيب الإمام مسلم في صحيحه فجمع أحاديث الفتن كلها في كتاب الفتن، بينما تعدد الأبواب الوارد فيها أحاديث البخاري في صحيحه، فاعتمد ترتيب مسلم، وذكر تخريج الأحاديث من البخاري .

ثم انتقيت من الأحاديث من هو وثيق الصلة بهذا الزمن وما سيليه، علها تكون تذكرة لي ولمن يقرأ، وتنبيها على ما فات عله يستدرك.

وقد اتبعت المنهجين الاستقرائي والاستنباطي، وذلك حيث استقرأت كل أحاديث الفتن بتخاريج مختلفة، وشروحاتها لدى علماء علوم السنة، ثم تتبعت بالتحليل والاستباط أهم ألوان البلاغة، وملامح الإعجاز النبوي في أحاديث المصطفى عليه أتم الصلوات، والتسليم. معرفة بالراوي من كتب

الحديث، مستخرجة معاني غريب الألفاظ من كتب اللغة وإن كانت قليلة جدا.

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة، ثم ثبت المصادر والمراجع.

المقدمة وفيها هدف البحث ومنهجه وخطته.

التمهيد وفيه نبذة عن مصطلح الفتن في اللغة وعند علماء السنة. ونبذة عن البلاغة النبوية.

المبحث الأول: الإخبار بما سيكون إلى قيام الساعة من خراب الكعبة ونزول الفتن وتمني الموت.

المبحث الثاني: الإخبار بكثرة القتل والخسف وخروج نار من أرض الحجاز.

المبحث الثالث: الإخبار عن كثرة الكذابين وقرب خروج الدجال ويأجوج ومأجوج.

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث. ثم ثبت المصادر والمراجع.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يرزقنا به القبول في الدنيا وشفاعة الحبيب المصطفى في الآخرة. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الباحثة

تمهيد

التعريف بالفتن:

•في معاجم اللغة[١]:

الْفَاءُ وَالتَّاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ابْتِلَاءٍ وَاخْتِبَارٍ. مِنْ ذَلِكَ الْفِتْنَةُ. يُقَالُ: فَتَنْتُ أَفْتِنُ فَتْنًا. وَفَتَنْتُ الذَّهَبَ بِالنَّارِ، إِذَا امْتَحَنْتُهُ. وَهُوَ مَفْتُونٌ وَفَتِينٌ. وَالْفَتَّانُ: الشَّيْطَانُ.

وأورد صاحب لسان العرب عن الأزهري قال:

جماع الفتنة الابتلاء، والامتحان، والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد....

والفتنة: المحنة، والمال والأولاد، والكفر، واختلاف الناس بالآراء.

وقيل الفتنة في التأويل: الظلم.

وفتنة المرأة: إذا ولهته وأحبها.

والفتنة: الضلال والإثم.

والفاتن: المضل عن الحق، والفاتن: الشيطان لأنه يضل العباد، أو هو ما يفتن الناس بخداعه، وغروره، وتزيينه للمعاصي[٢].

من هنا يتبين دوران معنى الفتنة في اللغة على معنى : الابتلاء، الإحراق، المحنة، الكفر، اختلاف الآراء، الظلم، الضلال، الإثم، إلا أنه شاع استعماله في كل أمر كشف الا متحان عن سوئه، أو تحول صاحبه من حال إلى حال أسوأ من.

١ معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي –المحقق: عبد السلام محمد هارون– دار الفكر– ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. (٤/ ٤٧٢)

٢ لسان العرب لابن منظور– دار المعارف. مادة (فتن).

•الفتن كما جاءت في كتب السنة:

وضح من كتب اللغة، سعة دائرة المعنى اللغوي لمادة فتن، وجاءت في تراكيب اللغة تفيد أكثر من معنيين لغويين في آن واحد. وسعة اللغة وكونها حمالة لأوجه كثيرة دليل ثرائها وغزارة معانيها.

وبالنظر في كتب السنة النبوية المطهرة فقد "دارت كلمة "الفتن" على معان عدة، وكثر استعمالها في الاختبار، والابتلاء، والإثم، والكفر، والقتل، والإزالة، والصرف عن الشيء.

كما اهتم علماء السنة بأمر الفتن، واعتنوا بها عناية خاصة، فأفردوا لها في مصنفاتهم كتبا، أوردوا تحتها ما يتصل بدلائل الفتن، والجهة التي تصدر منها، وواجب المسلم نحوها، وكيفية نزول الفتن واقترابها، وكيف يكون الرجل في الفتنة، والتثبت في الفتن، وكف اللسان، والعزلة والخمول، والوصية عند نزولها، وقتال المسلمين بعضهم بعضا.... الخ"

ومن الأئمة من اكتفى بالكلمة مجردة، ومنهم من أضاف إليها كما هو صنيع الإمام مسلم، حيث ترجم لكتابه "الفتن وأشراط الساعة"، ومنهم من أفردها بمؤلف خاص، كنعيم بن حماد بن معاوية ت٢٢٩هـ، في "كتاب الفتن" [١].

والبحث هنا تقيد بنصوص أحاديث الفتن التي اتفق عليها الشيخان، الإمام البخاري، والإمام مسلم في صحيحيهما، وقد جمعها كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما تفق عليه الشيخان، جمع: أ.محمد فؤاد عبد الباقي، رتب أبوابه على غرار ترتيب الإمام مسلم في صحيحه، وخرج الأحاديث من

١ من فقه الفتن في ضوء السنة– د/ عبد الله شعبان– دار البشير للثقافة والعلوم– طنطا. ط١– ١٩٩٩م. ص٢٠ وما بعدها باختصار.

صحيح البخاري فكانت أحاديث الفتن المتفق عليها متنا وسندا مبثوثة في صحيح البخاري بين الأبواب، (كتاب الأنبياء- كتاب البيوع- كتاب فضائل المدينة- كتاب المناقب- كتاب الإيمان- كتاب القدر- كتاب الفتن- كتاب الحج- كتاب الجهاد)، بينما جاءت متتالية في كتاب الفتن في صحيح مسلم.

وقد قام البحث على اثنين وعشرين حديثا، ليس هم كل باب الفتن في كتاب اللؤلؤ والمرجان، ولكني تخيرت منها ما يمت لواقعنا بصلة وثيقة، لإيماني بأن الدرس البلاغي، وخاصة ما يكون متعلقا بكتاب الله أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، يعالج الواقع ويلخص أسباب علله.

والبيان النبوي الشريف فيه ما فيه من البلاغة والفصاحة التي جاءت في أحاديثه صلى الله عليه وسلم، فهو الطبقة العليا من البيان البشري، وإعجاز نظمه إنما هو تال لإعجاز نظم القرآن الكريم، فهما من مشكاة واحدة، وصدق ربي سبحانه (وما ينطق عن الهوى) النجم ٣

ففصاحته – صلى الله عليه وسلم – من السمْتِ الذي لا يؤخذ فيه على حقه، ولا يتعلق بأسبابه متعلق، فإن العرب وإن هذبوا الكلام وحذقوه وبالغوا في إحكامه وتجويده، إلا أن ذلك قد كان منهم عن نظر متقدم، وروية مقصودة، وكان عن تكلف يُستعان له بأسباب الإجادة التي تسمو إليها الفطرة اللغوية فيهم، فيشبه أن يكون القول مصنوعاً مقدراً على أنهم مع ذلك لا يسلمون من عيوب الاستكراه والزلل والاضطراب، ومن حذف في موضع إطناب، وإطناب في موضع، ومن كلمة غيرها أليقُ، ومعنى غيره أردُّ، ثم هم في باب المعاني ليس لهم إلا حكمة التجربة، وإلا فضل ما يأخذ بعضهم عن بعض، قل ذلك أو كثر، والمعاني هي التي تعمر الكلام وتستتبع ألفاظه، وبحسَبها يكون ماؤه ورونقه، وعلى مقدارها وعلى وجه

تأديتها يكون مقدار الرأي فيه ووجه القطع. بَيدَ أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –كان أفصح العرب، على أنه لا يتكلف القول، ولا يقصد إلى تزيينه، ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده، ثم لا يعرض له في ذلك سقَط ولا استكراه؛ ولا تستزله الفُجاءة وما يَبْدَه من أغراض الكلام عن الأسلوب الرائع، وعن النمط الغريب والطريقة المحكمة، بحيث لا يجد النظر إلى كلامه طريقاً يتصفح منه صاعداً أو منحدراً؛ ثم أنت لا تعرف له إلا المعاني التي هي إلهام النبوة، ونتاج الحكمة، وغاية العقل، وما إلى ذلك مما يخرج به الكلام وليس فوقه مقداز إنساني من البلاغة والتسديد وبراعة القصد والمجيء في كل ذلك من وراء الغاية[1].

هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنَع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلف لها وهي على السهولة بعيدةَ ممنوعة.

ألفاظ النبوة يعمرها قلبَ متصلَ بجلال خالقه، ويصقِلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله،

مُحكمَة الفصول، حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول، حتى ليس فيها كلمة مفصولة.

وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبضُ قلب يتكلم، وإنما هي في إجادتها مظهرَ من خواطره – صلى الله عليه وسلم – إن خرجت في

١ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي–دار الكتاب العربي– بيروت– ط٨– ٢٠٠٥م. (ص: ٢٨١، ٢٨٢)

الموعظة قلت أنينَ من فؤاد مقروح، وإن راعت بالحكمة قلتَ صورة بشرية من الروح في مَنزع يلين فينفر بالدموع ويشتد فينزو بالدماء وإذا أراك القرآنُ أنه خطاب السماء للأرض أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء. والبلاغة النبوية، تعرف الحقيقةَ فيها كأنها فكرٌ صريحَ من أفكار الخليقة؛ وتجيء بالمجاز الغريب فترى من غرابته أنه مجاز في حقيقة. وهي من البيان في إيجاز تتردد فيه " عَينُ " البليغ فتعرفه مع إعجاز القرآن فرعين؛ فمن رآه غير قريب من ذلك الإعجاز فليعلم أنه لم يلحق به هذه " العَينْ ". على أنه سواء في سُهولة إطماعه؛ وفي صعوبة امتناعه؛ إن أخذ أبلغ الناس في ناحيته، لم يأخذ بناصيته، وإن أقدم على غير نظر فيه رجع مبصراً، وإن جرى في معارضته انتهى مقصراً[١].

وكلامه هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد (وما أنا من المتكلفين) فعاب التشديق وجانب أصحاب التقعير واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة بين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام ومع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج

١ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (ص: ٢٧٩، ٢٨٠)

إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطىء ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح عن معناه ولا أبين في فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم[١].

وقد أخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة في حديث طويل كما جاء في حديث حُذَيْفَةَ[٢] رضي الله عنه قَالَ: لَقَدْ خَطَبَنَا النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم خُطْبَةً مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ ذَكَرَهُ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ؛ إِنْ كُنْتُ لأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ[٣].

---

١ البيان والتبيين – الجاحظ – دار صعب– بيروت– ط١– ١٩٦٨م (ص: ٢٢١) بتصرف.

٢ حذيفة بْن اليمان وهو حذيفة بْن حسل. ويقال حسيل بْن جابر بْن عمرو بْن ربيعة بْن جروة بْن الحارث بْن مازن بْن قطيعة بْن عبس بْن بغيض بْن ريث بْن غطفان أَبُو عَبْد اللَّهِ العبسي واليمان لقب حسل بْن جابر. هاجر إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخيره بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة، وشهد مع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدًا، وقتل أبوه بها، ويذكر عند اسمه. وحذيفة صاحب سر رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنافقين، لم يعلمهم أحد إلا حذيفة، أعلمه بهم رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسأله عمر: أفي عمالي أحد من المنافقين؟ قال: نعم واحد، قال: من هو؟ قال: لا أذكره، قال حذيفة: فعزله، كأنما دل عليه، وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة، فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وَإِن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر. وكان موته بعد قتل عثمان بأربعين ليلة، سنة ست وثلاثين.

أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير– ت:علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود –دار الكتب العلمية– الطبعة: الأولى– ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م. (١/ ٧٠٦)

٣ أخرجه البخاري في: ٨٢ كتاب القدر: ٤ باب وكان أمر الله قدرًا مقدورًا– ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ بن حجر العسقلاني–ت: طه عبد الرؤوف سعد– دار الغد العربي– القاهرة. وصحيح مسلم– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان. الجزء الثاني– كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان– محمد فؤاد عبد الباقى –دار الفكر .بيروت (ص: ٩١١)

(عن حذيفة) بن اليمان (-رضي الله عنه-) أنه (قال: لقد خطبنا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خطبة ما ترك فيها) في الخطبة (شيئًا) هو كائن من الأمور المقدرة (إلى قيام الساعة إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله). ولمسلم من رواية جرير عن الأعمش حفظه من حفظه ونسيه من نسيه (إن كنت لأرى الشيء قد نسيت) بفتح همزة لأرى وحذف المفعول من نسيت ولأبي ذر عن الكشميهني نسيته ثم أتذكره (فأعرف) ولأبي ذر فأعرفه (ما) وفي نسخة كما (يعرف الرجل) أي الرجل فحذف المفعول وفي رواية بإثباته (إذا غاب عنه فرآه فعرفه). كما يعرف الرجل وجه الرجل غاب عنه ثم رآه فعرفه أي الذي كان غاب عنه فنسي صورته ثم إذا رآه عرفه١.

هذا الحديث الذي جاء بلفظ الصحابي حذيفة بن اليمان يعتبر رأس هذا الباب، وفيه إجمال لكل ما ذكر مفصلا في أحاديث منفصلة تتحدث عن أنواع شتى من الفتن، ستقع إلى قيام الساعة.

ويلاحظ استعمال الصحابي الجليل لأسلوب القصر، الذي أراد به حصر كل الفتن في كل ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، ولعل عدم تفصيلها ذكر الصحابي الجليل علته، فإنه صلى الله عليه وسلم لهول ما ذكر، وعى كل قدرما استوعب عقله، هذه الأمور العظام، والأحداث الجسام.

كما أن قوله (عرفه من عرفه وجهله من جهله) كرر الألفاظ وأتى بالصلة لا تفيد شيئا جديدا قدر ما تفيد زيادة الإبهام، واسم الموصول مع صلته هنا ذريعة لتعظيم الموصوف به، أو ذريعة للتعريض، بالمنزلة

١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري – أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى – دار إحياء التراث العربي – بيروت. (٢٣/ ١٥١). إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري- أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري- المطبعة الكبرى الأميرية، مصر – ط٧- ١٣٢٣ هـ(٩/ ٣٥١)

الرفيعة للمتكلم أو فخامة وتهويل هذه الأمور التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته[١]، ومبالغة في التشويق، حتى كأنه يقول: توزعت المعرفة بين الحاضرين لتلك الخطبة، كل على قدر ما استوعب، وكل على قدر ما تحفظ ذاكرته، وإن كان حذيفة أكثرهم حفظا في تلك الخطبة.

والأحاديث التالية – محل البحث – ستوضح شيئا من تلك الأحداث التي أجمل الحديث عنها في هذا الحديث الشريف.

١ ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني– دار القلم– دمشق– ط١– ١٩٩٦م. ج١/ ٤٣٤

المبحث الأول: الإخبار بما سيكون إلى قيام الساعة من خراب الكعبة ونزول الفتن وتمني الموت

أولا: إخبار النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ[1] رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: سَتَكُون فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ[2].

التحليل البلاغي والشرح:

(ستكون فتن) جمع فتنة، والمراد الاختلاف الواقع بين أهل الإسلام بسبب افتراقهم على الإمام ولا يكون المحق فيها معلومًا بخلاف زمان علي ومعاوية (القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي) أي: القاعد في زمانها عنها، والمراد بالقائم الذي لا يستشرفها وبالماشي من يمشي في أسبابه لأمر سواها فربما يقع بسبب مشيه في أمر يكرهه. وحكى بن التين عن الداودي ان الظاهر ان المراد من يكون مباشرا لها في الأحوال كلها يعني ان بعضهم في ذلك أشد من بعض

---

١ هو: عَبْد الرَّحْمَن بْن صخر أَبُو هُرَيْرَةَ سماه عَبْد اللَّه بْن سعد الزُّهْرِيّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاق، قَالَ: اسمُ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْد الرَّحْمَن ابْنُ صخر. عن أبي هريرة: كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر، فسماني رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلّم عبد الرحمن، وكنيت أبا هريرة، لأني وجدت هرّة فحملتها في كمّي، فقيل لي أبو هريرة. وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثا. عاش أبو هريرة ثمانيا وسبعين سنة. مات سنة سبع وخمسين. ينظر الإصابة في تمييز الصحابة– أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ (٧/ ٣٤٩: ٣٦٢).و أسد الغابة ط العلمية (٣/ ٤٥٧)

٢ أخرجه البخاري في: ٦١ كتاب المناقب: ٢٥ باب علامات النبوة في الإسلام. وصحيح مسلم– ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٠)

فأعلاهم في ذلك الساعي فيها بحيث يكون سببا لإثارتها ثم من يكون قائما بأسبابها وهو الماشي ثم من يكون مباشرا لها وهو القائم ثم من يكون مع النظارة ولا يقاتل وهو القاعد ثم من يكون مجتنبا لها ولا يباشر ولا ينظر وهو المضطجع اليقظان ثم من لا يقع منه شيء من ذلك ولكنه راض وهو النائم والمراد بالأفضلية في هذه الخيرية من يكون أقل شرا ممن فوقه على التفصيل المذكور. قال النووي: معناه بيان عظم خطرها والحث على تجنبها والهرب منها ومن التسبب في شيء منها لأن سببها وشرها وفتنتها تكون على حسب التعلق بها، قال التوربشتي: أي من تطلع لها دعته إلى الوقوع فيها. والتشرف التطلع، واستعير هاهنا للإصابة لشرها، أو أريد أنها تدعوه إلى زيادة النظر إليها، وقيل: إنه من استشرفت الشيء إذا علوته يريد من انتصب لها انتصبت له وصرعته، وقيل هو من المخاطرة ، أي: من خاطر بنفسه فيها أهلكته. قال الطيبي: لعل الوجه الثالث أولى لما يظهر منه من معنى اللام في لها وعليه كلام الفائق وهو قوله أي من غالبها غلبته. (ومن وجد ملجأ) أي عاصمًا أو موضعًا يلتجئ إليه ويعتزل فيه (أو) قال: (معاذًا) شك من الراوي وهما بمعنى (فليعذ به) أي ليعتزل فيه ليسلم من شر الفتنة وفي رواية سعد بن إبراهيم فليستعذ . وفيه التحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها وأن شرها يكون بحسب التعلق بها، والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل[1].

والمُرَاد من قَوْله: فتن جَمِيع الْفِتَن. فَإِن قلت: إِذا كَانَ المُرَاد جَمِيع الْفِتَن فَمَا تَقول فِي الْفِتَن الْمَاضِيَة وَقد علمت أَنه نَهَضَ فِيهَا من خِيَار

١ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (٦/ ٥٣). فتح الباري شرح صحيح البخاري- لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي- دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩هـ (١٣/ ٣١)

التَّابِعين خلق كثير؟ وَإِن كَانَ المُرَاد بعض الْفِتَن فَمَا مَعْنَاهُ وَمَا الدَّلِيل على ذَلِك؟ . قلت: أجَاب الطَّبَرِيّ: بِأَنَّهُ قد اخْتلف السّلف فِي ذَلِك، فَقيل: المُرَاد بِهِ جَمِيع الْفِتَن، وَهِي الَّتِي قَالَ الشَّارِع فِيهَا: الْقَاعِد فِيهَا خير من الْقَائِم وَمِمَّنْ قعد فِيهَا من الصَّحَابَة: حُذَيْفَة وَمُحَمّد بن سَلمَة وَأَبُو ذَر وَعمْرَان بن حُصَيْن وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيّ وَأُسَامَة بن زيد وأهبان بن صَيْفِي وَسعد بن أبي وَقاص وَابْن عمر وَأَبُو بكرَة، وَمن التَّابِعين: شُرَيْح وَالنَّخَعِيّ. وَقَالَت طَائِفَة بِلُزُوم الْبَيْت، وَقَالَت طَائِفَة بِلُزُوم التَّحَوُّل عَن بلد الْفِتَن أصلا، وَمِنْهُم من قَالَ: إِذا هجم عَلَيْهِ شَيْء من ذَلِك يكف يَده وَلَو قتل، وَمِنْهُم من قَالَ: يدافع عَن نَفسه وَعَن مَاله وَعَن أَهله وَهُوَ مَعْذُور إِن قتل أَو قتل، وَقيل: إِذا بَغت طَائِفَة على الإِمَام فامتنعت عَن الْوَاجِب عَلَيْهَا ونصبت الْحَرْب وَجب قتالها، وَكَذَلِكَ لَو تحاربت طَائِفَتَانِ وَجب على كل قَادر الْأَخْذ على المخطىء وَنصر الْمَظْلُوم، وَهَذَا قَول الْجُمْهُور، وَقَالَ الطَّبَرِيّ: وَالصَّوَاب أَن يُقَال: إِن الْفِتْنَة أَصْلهَا الِابْتِلَاء، وإنكار الْمُنكر وَاجِب على كل من قدر عَلَيْهِ، فَمن أعَان المحق أصَاب وَمن أعَان المخطىء أَخطَأ، وَأَن أشكل الْأَمر فَهِيَ الْحَالة الَّتِي ورد النَّهْي عَن الْقِتَال فِيهَا، وَذهب آخَرُونَ إِلَى أَن الْأَحَادِيث وَردت فِي حق نَاس مخصوصين وَأَن النَّهْي مَخْصُوص بِمن خُوطِبَ بذلك، وَقيل: إِن أَحَادِيث النَّهْي مَخْصُوصَة بآخر الزَّمَان حَيْثُ يحصل التحقق أَن الْمُقَاتلَة إِنَّمَا هِيَ فِي طلب الْملك. قلت: يدْخل فِيهَا التّرْك أَصْحَاب مصر حَيْثُ لم يكن بَينهم قتال إِلاَّ لطلب الْملك[1].

١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٤/ ١٩١)

(والماشي فيها خير من الساعي) وزاد الإسماعيلي من طريق الحسن بن إسماعيل الكلبي عن إبراهيم بن سعد في أوله النائم فيها خير من اليقظان واليقظان فيها خير من القاعد.

والحسن بن إسماعيل وثقه النسائي وهو من شيوخه وعند أحمد وأبي داود من حديث ابن مسعود النائم فيها خير من المضطجع وهو المراد باليقظان في الرواية السابقة وفيه والماشي فيها خير من الراكب والمراد بالأفضلية في هذه الخيرية من يكون أقل شرًّا ممن فوقه على التفصيل السابق[١].

والملاحظ من شرح الحديث أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قد أبدع في تصوير كيفية التعامل مع الفتن حين حدوثها، فبدأ الحديث بقوله "ستكون فتن" جمعا ونكرة، لتفيد التهويل والتعظيم، ومعلوم أن السين من حروف التأكيد التي تدخل على الفعل المضارع فتخلصه للاستقبال، "والسين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه، أفادت أنه واقع لا محالة، ووجه ذلك أنها تفيد الوعد أو الوعيد بحصول الفعل، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه[٢].

ثم تعبيره بـ (القاعد- القائم- الماشي- الساعي) وهو ترق في تصوير مجابهة الفتن، فلم يقل ابتعد عنها، لأن الأمور نسبية، وقد يختلط الأمر على كثيرين، ولكنه بين درجة تفاعل من يعاصر الفتن وصوره بهذه الهيئات الجسمانية، ليتضح لكل راء، أين هو من الفتن وكيف يمكنه الابتعاد عنها قدر إمكانه.

---

١ شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ١٨١)

٢ البلاغة العربية في ثوبها الجديد لبكري شيخ أمين- دار العلم للملايين- بيروت- ط١- ١٩٨٢م . ج١/ ٦٣، ٦٤

والحركات الجسمانية المصورة معنا هنا في الحديث يمكن أن تدخل في مجال الطباق، الذي هو زينة معنوية تحسن الأسلوب وتوضح صورته، لاعتماد الذهن على سهولة تصور الشيء بذكر ضده.

ثم الشرط وزيادة مبنى الفعل في قوله "تستشرفه" ليدل على أن مجرد التطلع أو البحث بغرض الفضول، أو رغبة النفس في معرفة ما يحدث، تجعل الفتن هي من تطلب الشخص ليكون في غمارها، وهو تعبير نبوي بليغ، عليم بدخائل النفس البشرية، مقدر لما ستغالبه إن كانت في هذا الموقف، لذا وجب الانصياع للتوجيه النبوي وأن نكون ممن وجدوا ملجأ بعيدا عنها.

ثانيا: نزول الفتن:

١-حديث أُسَامَةَ[١] رضي الله عنه، قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى أُطُمٍ[٢] مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى إِنِّي لأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلاَلَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ[٣].

١ أسامة بْن زيد بْن حارثة بْن شراحيل بْن كعب بْن عبد العزى بْن زيد بْن امرئ القيس بْن عامر بْن النعمان بْن عامر بْن عبد ود بْن عوف بْن كنانة بْن بكر بْن عوف بْن عذرة بْن زيد اللات بْن رفيدة بْن ثور بْن كلب بْن وبرة الكلبي وقد ذكر ابن منده، وَأَبُو نعيم في نسبه: ابن رفيدة بْن لؤي بْن كلب وهو تصحيف، وَإنما هو ثور بْن كلب، لا شك فيه. أمه أم أيمن حاضنة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو، وأيمن أخوان لأم، ويكنى أسامة: أبا مُحَمَّد، وقيل: أَبُو زيد، وقيل: أَبُو خارجة، وهو مولى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أبويه، وكان يسمى: حب رَسُول اللَّهِ. استعمله النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابن ثماني عشرة سنة. وكان أسامة أسود أفطس، وتوفي آخر أيام معاوية سنة ثمان، أو تسع وخمسين، وقيل: توفي سنة أربع وخمسين. ينظر: أسد الغابة ط العلمية (١/ ١٩٤)

٢ أطم: الأُطُم: حِصْنٌ مَبْنِيٌّ بِحِجَارَةٍ، وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ بَيْتٍ مُرَبَّع مُسَطَّح، وَقِيلَ: الأُطْم مِثْلُ الأَجَم، يُخَفَّفُ ويثَقَّل، وَالْجَمْعُ القليلُ آطامٌ وآجام، الأُطْم، بِالضَّمِّ: بِنَاءٌ مُرْتَفِعٌ، وَجَمْعُهُ آطَامٌ . لسان العرب مادة: أطم

٣ أخرجه البخاري في: ٢٩ كتاب فضائل المدينة: ٨ باب آطام المدينة. وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩٠٩). القطر:

٢-حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما[١]، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ مُسْتَقْبِلٌ الْمَشْرِقَ، يَقُولُ: أَلاَ إِن الْفِتْنَةَ هٰهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ[٢].

التحليل البلاغي والشرح:

قوله (أشرف) أَي: نظر من مَكَان مُرْتَفع. قَوْله: (مواقع الْفِتَن) أَي: مَوَاضِع سُقُوط الْفِتَن، وأشرف النبي صلى الله عليه و سلم على أطم بضمتين هو الحصن من أطام المدينة، (خلال بُيُوتكُمْ) أَي: بَينهَا ونواحيها، وَهُوَ جمع خلل، وَهُوَ الفرجة بَين الشَّيْئَيْنِ. وقوله فاني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم في رواية أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان: إني لأرى مواقع الفتن، والمراد بالمواقع مواضع السقوط والخلال النواحي. والرؤية بمعنى النظر أي كشف لي فأبصرت ذلك عيانا. قَوْله: (كمواقع الْقطر) ، أَي: الْمَطَر شبه سُقُوط الْفِتَن وَكَثْرَتهَا بِالْمَدِينَةِ بِسُقُوط كَثْرَة الْقطر وعمومه ، قَالَ الْمُهلب: الرُّؤْيَة هُنَا الْعلم، وَهَذَا من عَلَامَات النُّبُوَّة لإخباره بِمَا سَيكون، وَقد ظهر مصداق ذَلِك من قتل عُثْمَان، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ، وهلم جرًّا، وانما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها ثم انتشرت

١ عَبْد اللَّه بْن عُمَر بْن الخطاب الْقُرَشِيّ العدوي، يرد نسبه عند ذكر أَبِيهِ إن شاء اللَّه تَعَالى أمه، وأم أخته حفصة: زينب بِنْت مظعون بْن حبيب الجمحية. أسلم مَعَ أَبِيهِ وهو صغير لم يبلغ الحلم، وَقَدْ قيل: إن إسلامه قبل إسلام أَبِيهِ، ولا يصح، وَإنما كانت هجرته قبل هجرة أَبِيهِ، فظن بعضُ النَّاس، أن إسلامه قبل إسلام أَبِيهِ، وأجمعوا عَلَى أَنَّهُ لم يشهد بدرًا، استصغره النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فردَّه، واختلفوا فِي شهوده أحدًا، فقيل: شهدها، وقيل: رده رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ غيره ممن لم يبلغ الحلمُ. توفي عَبْد اللَّه بْن عُمَر سنة ثلاث وسبعين، بعد قتل ابْنُ الزُّبَيْر بثلاثة أشهر. ومات وهو ابْنُ ست وثمانين سنة، وقيل: أربع وثمانين سنة. أسد الغابة ط العلمية (٣/ ٣٣٦)

٢ أخرجه البخاري في: ٩٢ كتاب الفتن: ١٦ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة من قبل المشرق وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن.اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٣).

الفتن في البلاد بعد ذلك فالقتال بالجمل وبصفين كان بسبب قتل عثمان والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه ثم إن قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم وأول ما نشأ ذلك من العراق وهي من جهة المشرق، كما في والحديث الثاني: : أَلاَ إِن الْفِتْنَةَ هٰهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ" فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث الآتي ان الفتنة من قبل المشرق وحسن التشبيه بالمطر لإرادة التعميم لأنه إذا وقع في أرض معينة عمها ولو في بعض جهاتها[١].

ولمسلم من رواية عكرمة بن عمار عن سالم سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يشير بيده نحو المشرق ويقول ها إن الفتنة ها هنا ثلاثا حيث يطلع قرن الشيطان[٢].

وقال الخطابي: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة[٣].

والملاحظ في البيان النبوي في هذين الحديثين استهلال النبي صلى الله عليه وسلم الحديث الأول بالاستفهام والثاني بألا الاستفتاحية، والاستفهام أسلوب إنشائي يحفز الذهن، ويثير عقل المتلقي لرغبته في علم ما يجهل، والسؤال في الحديث سؤال لاينتظر جوابه، فهو سؤال تحضيض وتحفيز وشد انتباه لما سيلقى من خبر وما سيعلن من بيان.

---

١ فتح الباري شرح صحيح البخاري- ابن حجر (١٣/ ١٢، ١٣) بتصرف. عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٤٢) بتصرف. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣/ ٣٣٦)

٢ فتح الباري شرح صحيح البخاري- ابن حجر (١٣/ ٤٦)

٣ كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَارِي- محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي- مؤسسة الرسالة، بيروت- ط١- ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م . (١٠/ ٣٩٠).

أما ألا الافتتاحية في بداية الحديث الثاني فيراد بها التنبيه وتدل عندئذ على تحقق ما بعدها، ومن هنا تأتي دلالتها على معنى التأكيد، فهي تأكيدية، استخدمت أداة التنبيه (ألا) للدلالة على تحقيق ما بعدها. فهي لا تستخدم إلا في الأمور المهمة التي تحتاج إلى تأكيد وتحقيق، [١].

وهذا الخبر(ألا إن الفتنة ههنا) خبر غريب يستحق أن يحشد له كل أنواع التأكيد، ويطابق الكلام مقتضى حال المخاطبين، فمع العلم بأنهم مؤمنون إلا أن التأكيد واجب ضروري، لأن الحديث مخاطب به من كان في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، ومخاطب به من جاء بعده. وبتفاوت الإيمان والاقتناع يكون التأكيد، ولذا من دلالة صدقه بليغ خطابه هذا، الذي أكده تأكيدا شديدا لينبئ بشكل غير مباشر بأن هناك من لا يصدق، أو من لم يتعظ، وسيقع في هذه الفتنة خلق كثيرون، وقد حدث فعلا.

وقَوْله: (كمواقع الْقطر) ، أَي: الْمَطَر شبه سُقُوط الْفِتَن وَكَثْرَتهَا بِالْمَدِينَةِ بِسُقُوط كَثْرَة الْقطر وعمومه، تشبيه يصور صورة حسية للفتن وعمومها، فلن يكون هناك معتصم من الفتن، إلا كما يعتصم المتعرض للقطر من مطر السماء إن وجد ملجأ واتخذ معزلا.

أما تصوير المشرق بقوله "قرن الشيطان" لما ورد من أن الشمس تشرق بين قرني شيطان، لذا نهي عن الصلاة وقت طلوعها.

١ البلاغة العربية في ثوبها الجديد لبكري شيخ أمين– دار العلم للملايين– بيروت– ط١– ١٩٨٢م. ج١ / ص ٦٩ . وينظر بلاغة تطبيقية.دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص– د/ بسيوني فيود– مطبعة الحسين– ط١– ١٩٩١م. ص١٢٨

ثالثا: إمارة آخر الزمان و خراب الكعبة:

١-حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: لاَ تَقُوم السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ[١].

التحليل البلاغي والشرح:

قَوْله: (رجل) لم يدر اسْمه عِنْد الْأَكْثَرين، لَكِن الْقُرْطُبِيّ جزم أَنه: جَهْجَاه، الَّذِي وَقع ذكره فِي (صَحِيح مُسلم) من طَرِيق آخر عَن أبي هُرَيْرَة بِلَفْظ: (لَا تذْهب الْأَيَّام والليالي حَتَّى يملك رجل يُقَال لَهُ: الجهجاه، وَأخرجه عقيب حَدِيث القحطاني. قَوْله: (يَسُوق النَّاس بعصاه) كِنَايَة عَن تسخير النَّاس واسترعائهم كسوق الرَّاعِي الْغنم بعصاه، وَفِي (التَّوْضِيح) : حَدِيث القحطان يدل على أَنه خَلِيفَة وَلكنه يحمل على تغلبه، وروى نعيم بن حَمَّاد فِي (الْفِتَن) : عَن أَرْطَأَة بن الْمُنْذر، أحد التَّابِعين من أهل الشَّام: أَن القحطاني يخرج بعد الْمهْدي ..... قلت: إِذا كَانَ القحطاني فِي زمن عِيسَى، كَيفَ يَسُوق النَّاس بعصاه وَكَيف يملك مَعَ وجود عِيسَى، عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام؟ على أَن فِي رِوَايَة أَرْطَأَة ابْن الْمُنْذر: أَن القحطاني يعِيش فِي الْملك عشْرين سنة. وأجيب: بجواز أن يقيمه عيسى نائبًا عنه في أمور مهمة عامة.

وْله: من قحطان هُوَ قَبيلَة وَهُوَ أَبُو الْيمن، وَقَالَ الرشاطي: قحطان بن عَابِر بن شالخ بن أرفخشذ بن سَام بن نوح، وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: قَوْله: يَسُوق النَّاس بعصاه كِنَايَة عَن غلبته عَلَيْهِم وانقيادهم لَهُ، وَلم يرد نفس الْعَصَا، وَقيل: إِنَّه يسوقهم بعصاه حَقِيقَة كَمَا يساق الْإِبِل والماشية لشدَّة عنفه على

١ أخرجه البخاري في: ٦١ كتاب المناقب: ٧ باب ذكر قحطان وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن.اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٤)

النَّاس، ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إن سوق القحطاني الناس إنما هو في تغير الزمان وتبدّل أحوال الإسلام لأن هذا الرجل ليس من قريش الذين فيهم الخلافة فهو من فتن الزمان وتبدّل الأحكام. [١].

وتعبير النبي صلى الله عليه وسلم بقوله "لا تقوم الساعة حتى ...." ورد في مواطن كثيرة تخبر عما سيحدث بين يدي الساعة، وهو تعبير يحمل من التأكيد الكثير، إذ نفى قيام الساعة مستقبلا كما يفيد الفعل المضارع المتصل ب"لا" التي تفيد نفي الحال، حتى تحدث هذه الأمور المتحدث عنها، والتي من بينها هنا، إمارة رجل من قحطان اختلف شراح الحديث في تحديد من هو على جهة القطع، ولكنه أوشك أن يكون أميرا على العرب، يتغلب عليهم ويكون سيدا مطاعا فيهم، كما عبرت الكناية عن هذا المعنى من الغلبة والقوة والسيطرة عليهم بقوله "يسوق الناس بعصاه" كناية عن صفة القوة التي مكنته من إمارته، وثبتت سلطانه، حتى حكم عشرين سنة كما أول ذلك بعض شراح الحديث.

٢-حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ[٢].

التحليل البلاغي والشرح:

قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (يخرب الْكَعْبَة ذُو السويقتين من الْحَبَشَة، ويسلب حليها ويجردها من كسوتها، وَكَأَنِّي أنظر إِلَيْهِ أصيدع أفيدع يضْرب عَلَيْهَا مسحاته ومعوله) . (وَذُو السويقتين) تَثْنِيَة سويقة، والسويقة

١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ٨٧) ، (٢٤/ ٢١٢) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٠٢) (٦/ ١٤) (١٠/ ٢٠٢) (١٠/ ٢٠٣).

٢ أخرجه البخاري في: ٢٥ كتاب الحج: ٤٧ باب قول الله تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام) وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٤).

مصغر السَّاق، وَألْحق بهَا التَّاء فِي التصغير لِأَن السَّاق مُؤَنّثَة، والتصغير للتحقير، وَالْإِشَارَة إِلَى الدقة لِأَن فِي سيقان الْحَبَشَة دقة وخموشة، وَالتَّقْدِير: يخرب الْكَعْبَة ضَعِيف من هَذِه الطَّائِفَة. قَوْله: (من الْحَبَشَة) كلمة: من، بَيَانِيَّة أَي من هَذَا الْجِنْس من بني آدم. وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ ابْن الْجَوْزِيّ من حَدِيث حُذَيْفَة عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، فَذكر حَدِيثا فِيهِ طول، وَفِيه: (وخراب مَكَّة من الْحَبَشَة على يَد حبشِي أفحج السَّاقَيْن أَزْرَق الْعَينَيْنِ أفطس الْأنف كَبِير الْبَطن مَعَه أَصْحَابه، ينقضونها حجرا حجرا ويتناولونها حَتَّى يرموا بهَا يَعْنِي: الْكَعْبَة إِلَى الْبَحْر، وخراب الْمَدِينَة من الْجُوع وخراب الْيمن من الْجَرَاد) . وَفِي (كتاب الْغَرِيب) لأبي عبيد: عَن عَليّ، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ: (استكثروا من الطّواف بِهَذَا الْبَيْت قبل أَن يُحَال بَيْنكُم وَبَينه، فَكَأَنِّي بِرَجُل من الْحَبَشَة أصلع وأصمع حمش السَّاقَيْن قَاعد عَلَيْهَا وَهِي تهدم) . (وَعَن عبد الله بن عَمْرو: تخرج الْحَبَشَة بعد نزُول عِيسَى، عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام، فيبعث عِيسَى طَائِفَة فيهزمون) ، وَفِي رِوَايَة: (يهدم مرَّتَيْنِ وَيرْفَع الْحجر فِي الْمرة الثَّالِثَة) ، وَفِي رِوَايَة، وَيرْفَع فِي الثَّانِيَة. وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: وَقيل: إِن خرابه يكون بعد رفع الْقُرْآن من الصُّدُور والمصاحف، وَذَلِكَ بعد موت عِيسَى، عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام، وَهُوَ الصَّحِيح[1].

ويلاحظ تعبير النبي الكريم بالفعل المضارع لإرادة تصوير الحدث كأنه مشاهد واقع أما المخاطبين، فإن الكعبة لها من المهابة والجلال في النفوس ما يعظم لدى المسلم خرابها، ولكنها سيقع ذاك التخريب قرب نهاية الزمان، وكما ذكر شراح الحديث ستخرب أكثر من مرة ولكن في الثانية

١ ينظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣٢/٩، ٢٣٣)، و شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣/ ١٥٦)

أو الثالثة لا تقوم بعدها، وهذا ما يفس قوله أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، وأن لا أحد في الأرض يقول الله الله. عافانا الله شر من أن ندرك هذا الزمان.

وعلى عكس الحديث السابق الذي حشد فيه من أدوات التأكيد الكثير، نجد الخبر هنا مجردا من أي تأكيد، وهو خطاب لمؤمن ذي يقين بأن أخبار النبي كلها صادقة، أدرك المؤمن وقت حدوثها وصدقها رأي عين، أو آمن بها وأيقن بحدوثها كما أمن بالغيبيات من ورائها وقيام الساعة.

واستعمال التصغير في صفة هذا الذي سيخرب الكعبة، دليل ضعف وانحطاط لحال المسلمين وقتئذ، إذ يستطيع مثل هذا أن يتسلط على بيت الله الحرام ويهدمه.

رابعا: تمني الموت

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ[1].

التحليل البلاغي والشرح:

(لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه) أي كنت ميتًا وذلك عند ظهور الفتن وخوف ذهاب الدين لغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصي، أو لما يقع لبعضهم من المصيبة في نفسه أو أهله أو دنياه وإن لم يكن في ذلك شيء يتعلق بدينه. وعند مسلم من طريق أبي حازم عن أبي هريرة: لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول: يا ليتني مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء الحديث. وعن ابن مسعود قال: سيأتي عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت

١ أخرجه البخاري في: ٩٢ كتاب الفتن: ٢٢ باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٣)

يباع لاشتراه؛ وسبب ذلك أنه يقع البلاء والشدة حتى يكون الموت الذي هو أعظم المصائب أهون على المرء فيتمنى أهون المصيبتين في اعتقاده، وذكر الرجل في الحديث للغالب وإلا فالمرأة يمكن أن تتمنى الموت لذلك أيضًا نسأل الله العافية[١].

وكالحديث السابق في استعمال تركيب "لا تقوم الساعة حتى..." حيث ذكر هنا شيئا آخر، وهو موجود بشكل نسبي في هذا الزمن، رأيته من بعضهم، حيث تمنى الموت حين مر القبر، لما يلاقيه من سوء أهل الزمان وظلمهم، والفتن التي تحيط بالناس فتغرقهم في أوحالها، وليس لها من دون الاعتصام بالله كاشفة. نسأل الله السلامة والعافية.

وقد صور النبي الكريم الحالة النفسية الرهيبة التي يعانيها هؤلاء الناس بين يدي الساعة، إذ تمنى الموت أمر صعب على النفس، وقد جبلت على حب البقاء وطول الأمل، فتمنيها الموت من الأمور التي يتعجب لها، ولكن الأعجب ما تراه من فتن كقطع الليل المظلم، يجعل تمني الموت أمرا مرغوبا، بل ويتمنى، واستعمال الحديث الشريف لأداة التمنى الحقيقية يصور حقيقة نفسية المتمنيِّ للموت، فهو بتمني الموت يرجو الخلاص مما هو فيه، والحديث بالتغليب يشمل الذكور والإناث، وإن كان التعبير بالرجل للتغليب إلا أنه يلمح من خلفه ملمحا آخر، وهو أن الذي يخرج كثيرا، وربما يمر بالقبور في ذهاب وروحة هو الرجل، بحكم أنه هو الأصل في السعي وطلب الرزق من مهامه أساسا، ومع هذا فالقول بالتغليب أليق لحال الزمن، وخروج المرأة لكل شيء من رزق وغيره، حتى إن المكث في البيت الآن أصبح غاية لا تدرك في معظم البيوت. كفى الله بيوت المسلمين شر الفتن. ما ظهر منها وما بطن.

١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٢١١) وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٠١)

المبحث الثاني: الإخبار بكثرة القتل والخسف وخروج نار من أرض الحجاز

أولا: كثرة القتل

١-حديث أَبِي بَكْرَةَ عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ[١]، قَالَ: ذَهَبْتُ لأَنْصُرَ هذَا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ قُلْتُ: أَنْصُرُ هذَا الرَّجُلَ قَالَ: ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ[٢].

٢-حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ[٣].

---

١ الأحنف بْن قيس والأحنف لقب له لحنف كان برجله، واسمه الضحاك، وقيل: صخر بْن قيس بْن معاوية بْن حصين بْن عبادة بْن النزال بْن مرة بْن عبيد بْن الحارث بْن عمرو بْن كعب بْن سعد بْن زيد مناة بْن تميم، أَبُو بحر التميمي السعدي. أدرك النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يره، ودعا له النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلهذا ذكروه، وأمه امرأة من باهلة. قدم عَلَى عمر في وفد البصرة، فرأى منه عقلا، ودينا، وحسن سمت، فتركه عنده سنة، ثم أحضره، وقال: يا أحنف، أتدري لم احتبستك عندي؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين، قال: إن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذرنا كل منافق عليم، فخشيت أن تكون منهم، ثم كتب معه كتابًا إِلَى الأمير عَلَى البصرة، يقول له: الأحنف سيد أهل البصرة، فما زال يعلو من يومئذ. وكان ممن اعتزل الحرب بين علي، وعائشة رضي اللَّه عنهما بالجمل، وشهد صفين مع علي، وبقي إِلَى إمارة مصعب بْن الزبير عَلَى العراق، وتوفي بالكوفة سنة سبع وستين، ومشى مصعب بْن الزبير وهو أمير العراق لأخيه عَبْد اللَّهِ في جنازته. أسد الغابة ط العلمية (١/ ١٧٨)

٢ أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ٢٢ باب المعاصي من أمر الجاهلية وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٠)

٣ أخرجه البخاري في: ٦١ كتاب المناقب: ٢٥ باب علامات النبوة في الإسلام وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١١)

التحليل البلاغي والشرح:

بَيَان اللُّغَات وَالْإِعْرَاب: قَوْله: (فَمَا بَال الْمَقْتُول) أَي: فَمَا حَاله وشأنه؟ قَوْله: (حَرِيصًا) من الْحِرْص، وَهُوَ الجشع. قَوْله: (لأنصر) أَي: لأجل أَن أَنْصر، قَوْله: (فَإِنِّي سَمِعت) الْفَاء فِيهِ تصليح للتَّعْلِيل. قَوْله: (يَقُول) : جملَة فِي مَحل النصب على الْحَال. قَوْله: (فالقاتل) الْفَاء جَوَاب: إِذا. قَوْله: (هَذَا الْقَاتِل) قَالَ الْكرْمَانِي: هُوَ مُبْتَدأ وَخبر، أَي: هَذَا يسْتَحق النَّار لِأَنَّهُ قَاتل، فالمقتول لِمَ يَسْتَحِقهَا وَهُوَ مظلوم؟ قلت: الأولى أَن يُقَال: هَذَا، مُبْتَدأ، و: الْقَاتِل، مُبْتَدأ ثَان، وَخَبره مَحْذُوف، وَالْجُمْلَة خبر الْمُبْتَدَأ الأول، وَالتَّقْدِير: هَذَا الْقَاتِل اسْتَحق النَّار لكَونه ظَالِما! فَمَا بَال الْمَقْتُول وَهُوَ مظلوم؟ وَنَظِيره: هَذَا زيد عَالم، وَقد علم أَن الْمُبْتَدَأ إِذا اتَّحد بالْخبر لَا يحْتَاج إِلَى ضمير، وَمِنْه قَوْله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {ولباس التَّقْوَى ذَلِك خير} (الْأَعْرَاف: ٢٦) وَقَوله عَلَيْهِ السَّلَام: (أفضل مَا قلت، أَنا والنبيون من قبلي: لَا إِلَه إِلَّا الله) . وقَوْله: (انصر هَذَا الرجل) يَعْنِي: عَليّ بن أبي طَالب، رَضِي الله عَنهُ، وَقَالَ الْكرْمَانِي: وَقيل: يَعْنِي عُثْمَان، رَضِي الله عَنهُ، قلت: هَذَا بعيد، وَيَرِدهُ مَا فِي الصَّحِيح. قَوْله: (إِذا التقى المسلمان بسيفيهما) وَفِي الرِّوَايَة الْأُخْرَى: (إِذا توجه المسلمان) ، أَي: إِذا ضرب كل وَاحِد مِنْهُمَا وَجه صَاحبه، أَي: ذَاته وَجُمْلَته. قَوْله: (فالقاتل والمقتول فِي النَّار) قَالَ عِيَاض وَغَيره: مَعْنَاهُ إِن جازاهما الله تَعَالَى وعاقبهما كَمَا هُوَ مَذْهَب أهل السّنة، وَهُوَ أَيْضا مَحْمُول على غير المتأول، كمن قَاتل لمعصية أَو غَيرهَا مِمَّا يشبهها، وَيُقَال: معنى الْقَاتِل والمقتول فِي النَّار، أَنَّهُمَا يستحقانها، وَأَمرهمَا إِلَى الله عز وَجل، كَمَا هُوَ مُصَرح بِهِ فِي حَدِيث عبَادَة: (فَإِن شَاءَ عَفا عَنْهُمَا، وَإِن شَاءَ عاقبهما، ثمَّ أخرجهُمَا من النَّار فأدخلهما الْجنَّة)، وَقَالَ مُعظم الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ وَغَيرهمَا: يجب نصر الْحق وقتال الباغين لقَوْله تَعَالَى: {فَقَاتلُوا الَّتِي تبغي

حَتَّى تفيء إِلَى أَمر الله} (الحجرات: ٩) وَهَذَا هُوَ الصَّحِيح، ويتأول أَحَادِيث الْمَنْع على من لم يظْهر لَهُ الْحق، أَو على عدم التَّأْوِيل لوَاحِد مِنْهُمَا، وَلَو كَانَ كَمَا قَالَ الْأَولونَ لظهر الْفساد واستطالوا، وَالْحق الَّذِي عَلَيْهِ أهل السّنة الْإِمْسَاك عَمَّا شجر بَين الصَّحَابَة، وَحسن الظَّن بهم، والتأويل لَهُم، وَأَنَّهُمْ مجتهدون متأولون لم يقصدوا مَعْصِيّة وَلَا مَحْض الدُّنْيَا، فَمنهمْ المخطىء فِي اجْتِهَاده والمصيب، وَقد رفع الله الْحَرج عَن الْمُجْتَهد المخطىء فِي الْفُرُوع، وَضعف أجر الْمُصِيب، وقَوْله: (إِنَّه كَانَ حَرِيصًا على قتل صَاحبه) وَفِي رِوَايَة: إِنَّه قد أَرَادَ قتل صَاحبه[1].

وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُور أَن من نوى الْمعْصِيَة وأصر عَلَيْهَا يكون آثِما، وَإِن لم يعملها وَلَا تكلم. قلت: التَّحْقِيق فِيهِ أَن من عزم على الْمعْصِيَة بِقَلْبِه ووطن نَفسه عَلَيْهَا أَثم فِي اعْتِقَاده وعزمه، وَلِهَذَا جَاءَ بِلَفْظ الْحِرْص فِيهِ، وَيحمل مَا وَقع من نَحْو قَوْله عَلَيْهِ السَّلَام: (إِن الله تجَاوز لأمتي عَن مَا حدثت بِهِ أَنْفسهَا مَا لم يتكلموا أَو يعلمُوا بِهِ) . وَفِي الحَدِيث الآخر: (إِذا هم عَبدِي بسيئة فَلَا تكتبوها عَلَيْهِ) ، على أَن ذَلِك فِيمَا إِذا لم يوطن نَفسه عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا مر ذَلِك بفكره من غير اسْتِقْرَار، وَيُسمى هَذَا هما وَيفرق بَين الْهم والعزم، وَإِن عزم تكْتب سَيِّئَة، فَإِذا عَملهَا كتبت مَعْصِيّة ثَانِيَة[2].

قيل: فِي قَوْله (انصر هَذَا الرجل) إِن السُّؤَال عَن الْمَكَان وَالْجَوَاب عَن الْفِعْل، فَلَا تطابق بَينهمَا. وَأجِيب: بِأَن المُرَاد: أُرِيد مَكَانا انصر فِيهِ.... وقيل: لِمَ أَدخل الْحِرْص على الْقَتْل وَهُوَ صَغِيرَة فِي سلك الْقَتْل وَهُوَ كَبِيرَة؟ وَأجِيب: بِأَنَّهُ أدخلهما فِي سلك وَاحِد فِي مُجَرّد كَونهمَا سَببا لدُخُول النَّار

١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١/ ٢١١) ،(١/ ٢١٢)
٢ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١/ ٢١٣)

فَقَط، وَإِن تَفَاوتا صغرا وكبرا وَغير ذَلِك. وَمِنْهَا مَا قيل: إِنَّمَا سمى الله الطَّائِفَتَيْنِ فِي الْآيَتَيْنِ: مُؤمنين، وسماهما النَّبِي، عَلَيْهِ السَّلَام، فِي الحَدِيث: مُسلمين، حَال الالتقاء لَا حَال الْقِتَال وَبعده وَأجِيب: بِأَن دلَالَة الْآيَة ظَاهِرَة، فَإِن فِي قَوْله تَعَالَى: {فأصلحوا بَين أخويكم} (لُقْمَان: ١٣) سماهما الله أَخَوَيْنِ وَأمر بالإصلاح بَينهمَا، وَلِأَنَّهُمَا عاصيان قبل الْقِتَال، وَهُوَ من حِين سعيا إِلَيْهِ وقصداه، وَأما الحَدِيث فَمَحْمُول على معنى الْآيَة، وَقَوله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (إِذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فِي النَّار) ، المُرَاد بِهِ تَأْكِيد الْوَعيد عَلَيْهِم، (فالقاتل والمقتول في النار) إذا كان القاتل منهما بغير تأويل سائغ أما إذا كانا صحابيين فأمرهما عن اجتهاد وظن لإصلاح الدين فالمصيب منهما له أجران والمخطئ أجر وَقَالَ الْمُهلب: الحَدِيث يدل على أَن السِّيَادَة إِنَّمَا يَسْتَحِقهَا من ينْتَفع بِهِ النَّاس، لِأَنَّهُ، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، علق السِّيَادَة بالإصلاح بَين النَّاس، وَقَالَ الْخطابِيّ: هَذَا الْوَعيد إِذا لم يَكُونَا يتقاتلان على تَأْوِيل، وَإِنَّمَا يتقاتلان على عَدَاوَة أَو طلب دنيا وَنَحْوه، وَأما من قَاتل أهل الْبَغي أَو دفع الصَّائِل فَقتل فَإِنَّهُ لَا يدْخل فِي هَذَا الْوَعيد لِأَنَّهُ مَأْمُور بِالْقِتَالِ للذب عَن نَفسه غير قَاصد بِهِ قتل صَاحبه[1].

وإنما حمل أبو بكرة الحديث على عمومه في كل مسلمين التقيا بسيفيهما حسمًا للمادة، وقد رجع الأحنف عن رأي أبي بكرة في ذلك وشهد مع علي باقي حروبه، ، وقوله (إنه كان حريصًا على قتل صاحبه) مفهومه أن من عزم على المعصية بقلبه ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه، ولا تنافي بين هذا وبين قوله في الحديث الآخر "إذا همّ عبدي بسيئة فلم يعملها فلا تكتبوها عليه" لأن المراد أنه لم يوطن نفسه عليها بل مرت بفكره

١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٢٨٤) ،(٢٤/ ٣٧) ، (٢٤/ ٣٨) (١/ ١١٧)

من غير استقرار. وهذا الوعيد المذكور محمول على من قاتل بغير تأويل سائغ بل لمجرد طلب الملك، وعند البزار في حديث: القاتل والمقتول في النار زيادة وهي إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار[١].

أما الحديث الثاني:

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ[٢].

(لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان فيكون بينهما مقتلة) بفتح الميم مصدر ميمي (عظيمة) أي قتل عظيم. وعند ابن أبي خيثمة في تاريخه أنه قتل بصفين من الفئتين فئة علي وفئة معاوية نحو سبعين ألفًا، وقيل: أكثر من ذلك وقيل: كان بينهم أكثر من سبعين زحفًا، وكان أول قتالهما في غرة صفر، فلما كاد أهل الشام أن يغلبوا رفعوا المصاحف بمشورة عمرو بن العاص ودعوا إلى ما فيها فآل الأمر إلى الحكمين فجرى ما جرى من اختلافهما واستبداد معاوية بملك الشام واشتغال علي بالخوارج. (دعواهما واحدة) ويؤخذ منه الردّ على الخوارج ومن تبعهم في تكفيرهم كلاً من الطائفتين[٣].

ولا يخفى علينا أن الغاية من إيراد هذه الأخبار بهذه الصورة وعلى هذه الحال من التنبيه والتأكيد والتشويق والتحقيق، إنما هي تنفير النفوس

١ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١/ ١١٧)، (١٠/ ١٨٣)

٢ أخرجه البخاري في: ٦١ كتاب المناقب: ٢٥ باب علامات النبوة في الإسلام وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١١)

٣ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٦/ ٥٦، ٥٧)

وترهيبها[١]... من الوقوع في هذه الفتنة العظيمة وهي الدماء، فإن المسلم لا يزال في فسحة من دينه مالم يصب دما حراما، والحوار هنا في الحديث الأول وسيلة تربوية لإفهام المتلقي، كيف يتساوى جزاء القاتل والمقتول؟ والسؤال في الحديث على حقيقته، لأنه استفهام من لا يعلم، وإن كان يحمل معنى التعجب، لأن فطرة البشر وحكمة العقل ترفض أن يتساوى القاتل والمقتول في المآل، لكن التعليل جاء بأن الحرص على القتل مؤدٍّ لهذه النتيجة، والحرص غير النية، لأننا غير مؤاخذينا بنياتنا، ولكن الحرص يجعل الإنسان يأخذ في الأسباب الداعية إلى تحقق الشيء الحريص على فعله. فإذا حرص المسلم على قتل أخيه، فإنه لن يكتفي بالنية، من هنا كان التهديد شديدا واللهجة والخبر صادما صارما، كلاهما في النار.

وتصوير الحديث لهذا الجو النفسي بطريقة بلاغية وفي صورة موجزة من البلاغة بمكان، فالتعبير بإذا، التي تفيد تحقق وقوع الشرط بها غالبا، لأنه عند التلاقي بالسيوف لا مجال للرجعة، وتتصدر غريزة حب البقاء عند كل منهما، فهما بين قاتل ومقتول.

وقد حرص الدين الإسلامي على حرمة الدم بين المسلمين خاصة وبين الناس عامة فجعل التهديد والوعيد في هذه المسألة يحمل من مؤثرات لغوية وبلاغية ما ينقل المشهد ويصوره، وينفر ويرهب من الوقوع فيه. ويأتي الخبر الذي يتصدر دائما حديث قرب الساعة في الحديث الثاني (لا تقوم الساعة حتى ....) فتجد الحديث استخدم : يقتتل مقتلة، والحديث قبله : القاتل والمقتول وقتل حيث وظفت تصاريف الكلمة في مكانها كل ذلك لسوق الترهيب والتنفير في نفس المتلقي، حتى يؤتي الحديث ثماره التعليمية، فإن البعد عن مواطن هذه الفتن نجاة بالدين.

١ بلاغة تطبيقية. دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص– د/ بسيوني فيود ص ١٢٩

والتصوير لا يقتصر على علم البيان، بل إن الطباق في الحديث الأول ساعد على تصوير المعنى بشكل وضح الغرض من الحديث، فالقاتل والمقتول، المعتدي والمعتدى عليه في النار، تنفيرا لأي مسلم أن يكون في مثل هذه المواقف.

أما الحديث الثاني فقد وقع بالفعل تلك المقتلة العظيمة التي راح فيها الكثير من المسلمين، في الفئتين اللتين تقاتلتا، فكان الإخبار بهما قبل وقوعهما دليل صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

٣-حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلاَ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا ١.

٤-<u>التحليل البلاغي والشرح:</u>

قَوْله: يُوشك أَي: يقرب. قَوْله: الْفُرَات نهر مَشْهُور بِالتَّاءِ المجرورة وَقيل: يجوز أَن يكْتب بِالْهَاءِ كالتابوت والتابوه وَالْعَنْكَبُوت والعنكبوه. قَوْله: أَن يحسر بِفَتْح أَي: ينْكَشف عَن الْكَنْز لذهاب مَائه. قَوْله: فَمن حَضَره فَلَا يَأْخُذ مِنْهُ شَيْئا. بجزم فلا يأخذ على النهي، وإنما نهى عن الأخذ منه لما ينشأ عن الأخذ من الفتنة والقتال عليه. لِأَنَّهُ مستعقب للبليات، وَهُوَ آيَة من الْآيَات. وَقَالَ ابْن التِّين: إِنَّمَا نهى عَن الْأَخْذ مِنْهُ لِأَنَّهُ لِلْمُسلمين فَلَا يُؤْخَذ إِلاَّ بِحقِّهِ. وَاعْترض عَلَيْهِ بِأَنَّهُ غير ظَاهر، وَإِنَّمَا النَّهْي لما ينشأ عَن أَخذه من الْفِتْنَة والقتال عَلَيْهِ. وَأخرج مُسلم من حَدِيث أبي بن كَعْب: سَمِعت رَسُول الله، صلى الله تَعَالَى عَلَيْهِ وَسلم، يَقُول: يُوشك أَن يحسر الْفُرَات عَن جبل من ذهب، فَإِذا سمع النَّاس سَارُوا إِلَيْهِ فيقتلون عَلَيْهِ، فَيقْتل من كل

١ أخرجه البخاري في: ٩٢ كتاب الفتن: ٢٤ باب خروج النار وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٢)

مائَة تِسْعَة وَتسْعُونَ. ويقول كل رجل منهم: لعليّ أكون أنا الذي أنجو والأصل أن يقول: أنا الذي أفوز به فعدل إلى قوله أنجو لأنه إذا نجا من القتل تفرّد بالمال وملكه[1].

فهنا كذلك خبر من المستقبل، يخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، خبر فيه تنبيه ونهي حقيقي عن الاختلاط بهذه الفتنة، وعلى قدر الرغبة في الكف على قدر قوة الأسلوب الذي يؤديه، قرب الزمن الذي ينكشف فيه كنز من ذهب بعد جفاف نهر الفرات، ومعلوم أن الإنسان يضعف أمام المال، فكان التهديد والنهي الشديد (فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا) فعبر بالمضارع لاستحضار الصورة وتصوير المستقبل، وعقد الشرط على الحضور، فمن حضره لا يأخذ منه شيء حتى لا يكون معرضا للقتل بسبب عرض من الدنيا.

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ[2].

١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٢١٣)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٠٤).

٢ أخرجه البخاري في: ٥٦ كتاب الجهاد: ٩٦ باب قتال الذين ينتعلون الشعر وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٤). الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ: الَّتِي يُطْرَق بعضُها عَلَى بَعْضٍ كالنَّعْل المُطْرَقة المَخصُوفة. وَيُقَالُ: أُطْرِقَت بالجلْد والعصَب أَي أُلْبِسَت، ونُرْس مُطْرَق. النَّهْذِيبُ: المَجانُّ المُطْرَقة مَا يَكُونُ بَيْنَ جِلْدين أَحدهما فَوْقَ الْآخَرِ، وَالَّذِي جاءَ فِي الْحَدِيثِ: كأَنَّ وُجوهَهم المَجانَّ المُطْرَقة أَي التِّراس الَّتِي أُلْبِسَتِ العَقَب شَيْئًا فَوْقَ شَيْءٍ؛ أَراد أَنهم عِراضُ الوُجوه غِلاظها؛ وَمِنْهُ طارَق النعلَ إِذا صيَّرها طَاقًا فَوْقَ طاقٍ وركَّب بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ لِلتَّكْثِيرِ، والأَول أَشهر. والطِّراق: حَدِيدٌ يعرَّض ويُدار فَيُجْعَلُ بَيْضة أَو ساعِداً أَو نحوَه فَكُلُّ طَبَقَةٍ عَلَى حِدَة طِراق. وَطَائِرٌ طِراق الرِّيشِ إِذا رَكِبَ بعضُه بَعْضًا . لسان العرب مادة طرق.

٥-حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ فَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَقُولُ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي، فَاقْتُلْهُ[1].

التحليل البلاغي والشرح:

(لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا) أي من الترك (نعالهم الشعر) أي متخذة منه (ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا كأن وجوههم المجان) التروس (المطرقة). التي يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة المخصوفة إذا طرق بعضها فوق بعض ولأبي ذر المطرّقة بتشديد الراء[2].

ذكر مَعْنَاهُ: قَوْله: (إن من أَشْرَاط السَّاعَة) ، أَي: من عَلَامَات يَوْم الْقِيَامَة، والأشراط جمع شَرط، بِفَتْح الرَّاء. وَقَالَ أَبُو عبيد: وَبِه سميت شَرط اللِّسَان، لأَنهم جعلُوا لأَنْفُسِهِمْ عَلَامَات يعْرفُونَ بهَا. قَوْله: (ينتعلون بنعال الشّعْر) ، مَعْنَاهُ: أَنهم يصنعون من الشّعْر حبلاً ويصنعون مِنْهَا نعالاً، وَيُقَال: مَعْنَاهُ أَن شُعُورهمْ كثيفة طَوِيلَة فَهِيَ إِذا أسدلوها كاللباس تصل إِلَى أَرجُلهم كالنعال، وَإِنَّمَا كَانَت نعَالهمْ من الشّعْر، أَو من جُلُود مشعرة لما فِي بِلَادهمْ من الثَّلج الْعَظِيم الَّذِي لَا يكون فِي غَيرهَا، وَيكون من جلد الذِّئْب وَغَيره، وَذكر الْبكْرِيّ فِي (أَخْبَار التّرْك) : كَانَ أَعينهم حدق الْجَرَاد يتخذون الدرق يربطون خيولهم بالحبل، وَفِي لفظ: حَتَّى يُقَاتل الْمُسلمُونَ التّرْك يلبسُونَ الشّعْر. وَالنعال جمع نعل، وَالشعر بِفَتْح الْعين وَكسرهَا. وَقيل: المُرَاد تطول شُعُورهمْ حَتَّى تصير أطرافها فِي أَرجُلهم مَوضِع النِّعَال، وَقيل: المُرَاد أَن نعَالهمْ من شعر: بِأَن يجعلوها من شعر مضفور...

١ أخرجه البخاري في: ٦١ كتاب المناقب: ٢٥ باب علامات النبوة في الإسلام وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٥)

٢ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ١٠٦).

وقَوْله: (المجان) ، بِفَتْح الْمِيم وَتَشْديد النُّون جمع: مجن، بِكَسْر الْمِيم وَهُوَ الترس. وقَوْله: (المطرقة)، بِضَم الْمِيم وَسُكُون الطَّاء الْمُهْمَلَة وَفتح الرَّاء. قَالَ الْخطابِيّ: هِيَ الَّتِي ألبست الأطرقة من الْجُلُود، وَهِي الأعشية مِنْهَا شبه عرض وُجُوههم ونتوء وجناتهم بِظُهُور الترس، والأطرقة جمع طراق، وَهُوَ جلدَة تقدر على قدر الدرقة وتلصق عَلَيْهَا. وَقَالَ القَاضِي الْبَيْضَاوِيّ: شبه وُجُوههم بالترس لبسطها وتدويرها، وبالمطرقة لغلظها وَكَثْرَة لَحمهَا. وَقَالَ الْهَرَوِيّ: المجان المطرقة هِيَ الَّتِي أطرقت بالعصب أَي ألبست بِهِ. وَقيل: المطرقة هِيَ الَّتِي ألبست الطراق وَهُوَ الْجلد الَّذِي يَغْشَاهُ وَيعْمل هَذَا حَتَّى يبْقى كَأَنَّهُ ترس على ترس، وَقَالَ ابْن قرقول: قَالَ بَعضهم الأصوب فِيهِ المطرقة، بتَشْديد الرَّاء، وَهُوَ مَا ركب بعضه فَوق بعض. فَإِن قلت: هَذَا الْخَبَر من جملَة معجزات النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم حَيْثُ أخبر عَن أَمر سَيكون، فَهَل وَقع هَذَا أم سيقع؟ قلت: قد وَقع بضع ذَلِك على مَا أخبر بِهِ رَسُول الله، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي سنة سبع عشرَة وسِتمِائَة، وَقد خرج جَيش عَظِيم من التّرْك فَقتلُوا أهل مَا وَرَاء النَّهر وَمَا دونه من جَمِيع بِلَاد خُرَاسَان، وَلم ينج مِنْهُم إِلاَّ من اختفى فِي المغارات والكهوف، فهتكوا فِي بِلَاد الْإِسْلَام إِلَى أَن وصلوا إِلَى بِلَاد قهستان، فخربوا مَدِينَة الرّيّ وقزوين وأبهر وزنجان وأردبيل ومراغة كرْسِي بِلَاد إذربيجان واستأصلوا شأفة من فِي هَذِه الْبِلَاد من سَائِر الطوائف، واستباحوا النِّسَاء وذبحوا الْأَوْلَاد، ثمَّ وصلوا إِلَى الْعرَاق الثَّانِي، وَأعظم مدنه مَدِينَة أصفهان، وَقتلُوا فِيهَا من الْخَلَائق مَا لَا يُحْصى، وربطوا خيولهم إِلَى سواري الْمَسَاجِد والجوامع، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث. [1].

١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٤/ ٢٠٠، ٢٠١)، (١٦/ ١٣١)

أما الحديث الأخير

حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ فَتسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَقُولُ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي، فَاقْتُلْهُ[1].

هذا إخبار من النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عن (قتال اليهود) الكائن في مستقبل الزمان.

(عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– أن رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال): مخاطبًا للحاضرين والمراد غيرهم من أمته. (تقاتلون اليهود) لأن هذا إنما يكون إذا نزل عيسى عليه السلام فإن المسلمين يكونون معه واليهود مع الدجال (حتى يختبئ) أي يختفي (أحدهم وراء الحجر فيقول): أي الحجر حقيقة (يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله). وفي رواية (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود) الذين يكونون مع الدجال عند نزول عيسى عليه السلام (حتى يقول الحجر وراءه اليهودي يا مسلم: هذا يهودي ورائي فاقتله). ففيه ظهور الآيات قرب الساعة من كلام الجماد، ويحتمل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء والأول أولى. و فيه إشارة إلى بقاء دين المسلمين إلى أن ينزل عيسى عليه السلام فإنه الذي يقاتل الدجال ويستأصل اليهود الذين معه[2].

ويتضح من الحديث تعانق كل من الخبر والإنشاء في تصوير المعنى، حيث بدأ الحديث بالفعل المضارع الذي يدل على استحضار الصورة، وفي نفس الوقت إخبار بما سيقع في مستقبل الزمان قرب قيام

١ أخرجه البخاري في: ٦١ كتاب المناقب: ٢٥ باب علامات النبوة في الإسلام وصحيح مسلم– ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٥).

٢ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ١٠٥) (٦/ ٤٩)

الساعة. وتأمل جمال التعبير النبوي في قوله (فتسلطون) للدلالة على الغلبة، والقوة والاستحكام الذي يكون فيه المسلمون يومئذ. ثم يصور النبي الكريم إحدى المعجزات التي تكون في أخر الزمان، ممازجا بين الخبر والإنشاء: (فيقول الحجر: يا مسلم هذا يهوديي ورائي فاقتله) خبر فنداء فخبر فأمر، وبالإنشاء يقوى الخبر، وبهما تكتمل الصورة المعبرة المؤثرة.

ثانيا: الخسف

حديث عَائِشَةَ[١]، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ قَالَ: يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ[٢].

التحليل البلاغي والشرح:

قال رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: يغزو) أي يقصد (جيش الكعبة) لتخريبها (فإذا كانوا ببيداء من الأرض) هي بيداء المدينة (يخسف بأوّلهم وآخرهم) وزاد الترمذي في حديث صفية ولم ينج أوسطهم ولمسلم في حديث حفصة فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم. قلت: يَا رَسُول الله!

---

١ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ بْن عَامِرِ بْن عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بن مرة بن كعب بن لؤي. وأمها أم رومان بنت عمير بن عامر بْن دهمان بْن الْحَارِث بْن غنم بْن مالك بن كنانة. تَزَوَّجَها رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عائشة وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ وَدَخَلَ بِهَا وَهِيَ بنت تسع سنين ومات عنها – صلى الله عليه وسلم – وهي ابنة ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً. تُوُفِّيَتْ عَائِشَةُ لَيْلَةَ الثُّلاثَاءِ لِتِسْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَصَلَّى عَلَيْهَا أَبُو هُرَيْرَةَ. الطبقات الكبرى – أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد – ت: محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت –ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م. (٨/ ٤٦)

٢ أخرجه البخاري في: ٣٤ كتاب البيوع: ٤٩ باب ما ذكر في الأسواق وصحيح مسلم– ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩٠٩)

كَيفَ يخسف بأولهم وَآخرهمْ وَفِيهِمْ أسواقهم وَمن لَيْسَ مِنْهُم؟ جمع سوق، والتقدير أهل أسواقهم الذين يبيعون ويشترون كما في المدن قَالَ: (يخسف بأوّلهم وآخرهم) لشؤم الأشرار (ثم يبعثون على نياتهم) فيعامل كل أحد عند الحساب بحسب قصده. وفيه التحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم يَعْنِي: يَوْم الْقِيَامَة، وَإِنَّمَا ذكر هَذِه الْقطعَة هُنَا تَنْبِيها على أَن الأَصْل فِي الْأَعْمَال النِّيَّة، قَوْله: (يبعثون على نياتهم) ، يَعْنِي: من كَانَ مِنْهُم مُخْتَارًا تقع الْمُؤَاخَذَة عَلَيْهِ، وَمن كَانَ مكْرها ينجو. والغرض من سؤالها أنها استشكلت وقوع العذاب على من لا إرادة له في القتال الذي هو سبب العقوبة[1] .

ويتصدر البيان النبوي هنا الفعل المضارع، لأنه هو المناسب للمقام المخبر عما سيكون في مستقبل الزمان الآخر. والحوار الذي في الحديث بين أم المؤمنين ورسول الله يبرز تأثير الحديث النبوي في بناء عقول ومفكري الأمة، فليست الأمور على عواهنها، رغم الإخبار في الحديث عن معجزات مستقبلية عرفها عز وجل رسوله الكريم، وأخبرنا بها الرؤوف ارحيم، ليتخذ كل لنفسه وقاء ويتعوذ من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وقد عني علماء النفس المحدثون بدراسة عملية التعلم دراسة مستفيضة، وتوصلوا إلى تحديد دقيق لمبادئ التعلم التي تجعل من التعلم عملية سهلة ميسرة،ولقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم مبادئ التعلم في التربية النفسية لأصحابه، وبناء شخصياتهم وفي نشر الدعوة الإسلامية بين

١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٧٤). إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٤/ ٤٨، ٤٩) بتصرف

الناس.... وكان من أهم هذه المبادئ خلق الدافع في التعلم، ويمكن إثارة الدافع إلى التعلم لدى الإنسان بالترغيب والترهيب، وبالاستعانة بالقصص[١].

والجملة الشرطية في الحديث رتبت الجزاء على العمل، فإن جزاء من يحاول غزو بيت الله والقتال فيه مستحق للخسف، ولو أخذ في الطريق من كان مكرها، أو ليس ممن يغزو. وهذا دليل على الفتنة الماحقة التي ستكون، وتحذير شديد بتصويرها بهذه الصورة المفزعة، حتى لا يكون هناك عذر لمن حضرها.

ويتآزر الخبر مع الإنشاء في الحديث الشريف ليصور الموقف رأي عين، فكأن القارئ يرى موقف الحوار، ويتخيل بانفعال صور الخسف المرعبة.

ثالثا: خروج النار من أرض الحجاز

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبْلِ بِبُصْرَى[٢].

التحليل البلاغي والشرح:

(لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز) أي تتفجر من أرض الحجاز (تضيء أعناق الإبل ببصرى) أي تجعل على أعناق الإبل ضوءًا، وبصرى مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل[٣].

---

١ الحديث النبوي وعلم النفس- د/ محمد عثمان نجاتي- دار الشروق- ط٦ -٢٠٠٦م . ص ١٦٨ وما بعدها. باختصار

٢ أخرجه البخاري في: ٩٢ كتاب الفتن: ٢٤ باب خروج النار وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٣)

٣ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٠٤)

وعَن سعيد بن الْمسيب. قَوْله: نَار من أَرض الْحجاز قَالَ الْقُرْطُبِيّ فِي التَّذْكِرَة خرجت نَار بالحجاز بِالْمَدِينَةِ وَكَانَ بدؤها زَلْزَلَة عَظِيمَة فِي لَيْلَة الْأَرْبَعَاء بعد الْعَتَمَة الثَّالِث من جُمَادَى الْآخِرَة سنة أَربع وَخمسين وسِتمِائَة، واستمرت إِلَى ضحى النَّهَار يَوْم الْجُمُعَة، فسكنت وَظَهَرت النَّار بقريظة عِنْد قاع التَّنْعِيم بِطرف الْحرَّة ترى فِي صور الْبَلَد، الْعَظِيم عَلَيْهَا سور مُحِيط بهَا عَلَيْهِ شراريف كشراريف الْحُصُون وأبراج ومآذن، وَيرى رجال يَقُودُونَهَا لَا تمر على جبل إِلاَّ دكته وأذابته، وَيخرج من مَجْمُوع ذَلِك نهر أَحْمَر ونهر أَزْرَق لَهُ دوِي كَدَوِيِّ الرَّعْد يَأْخُذ الصخور وَالْجِبَال بَين يَدَيْهِ وَيَنْتَهِي إِلَى محط الركب الْعِرَاقِيّ، فَاجْتمع من ذَلِك ردم صَار كالجبل الْعَظِيم، وانتهت النَّار إِلَى قرب الْمَدِينَة، وَمَعَ ذَلِك فَكَانَ يَأْتِي ببركة النَّبِي الْمَدِينَة نسيم بَارِد، وشوهد لهَذِهِ النَّار غليان كغليان الْبَحْر وانتهت إِلَى قَرْيَة من قرى الْيمن فأحرقتها، وَقَالَ بعض أَصْحَابنَا: لقد رَأَيْتهَا صاعدة فِي الْهَوَاء من نَحْو خَمْسَة أَيَّام من الْمَدِينَة، وَسمعت أَنَّهَا رئيت من مَكَّة وَمن جبال بصرى. وَقَالَ النَّوَوِيّ: تَوَاتر الْعلم بِخُرُوج هَذِه النَّار عِنْد جَمِيع أهل الشَّام، وَقَالَ أَبُو شامة فِي ذيل الروضتين وَردت فِي أَوَائِل شعْبَان سنة أَربع وَخمسين كتب من الْمَدِينَة فِيهَا شرح أَمر عَظِيم حدث بهَا، فِيهِ تَصْدِيق لما فِي الصَّحِيحَيْنِ فَذكر هَذَا الحَدِيث. وَفِي بعض الْكتب: ظهر فِي أول جُمُعَة من جُمَادَى الْآخِرَة فِي شَرْقي الْمَدِينَة نَار عَظِيمَة، بَينهَا وَبَين الْمَدِينَة نصف يَوْم، انفجرت من الأَرْض وسال مِنْهَا وَاد من نَار حَتَّى حَاذَى جبل أحد، وَفِي كتاب آخر: سَالَ مِنْهَا وَاد مِقْدَاره أَرْبَعَة فراسخ وَعرضه أَرْبَعَة أَمْيَال يجْرِي على وَجه الأَرْض يخرج مِنْهَا مهاد وجبال صغَار. وقال أبو شامة: وردت كتب من المدينة في بعضها أنه ظهر نار بالمدينة انفجرت من الأرض وسال منها وادٍ من نار حتى حاذى جبل أُحُد وفي آخر سال منها وادٍ مقداره

أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال يجري على وجه الأرض يخرج منها مهاد وجبال صغار، وقال في جمل الإيجاز: وحكى لي جمع ممن حضر: إن النفوس سكرت من حلول الرجل، وفنيت من ارتقاب نزول الأجل، وعجّ المجاورون في الجؤار بالاستغفار، وعزموا على الإقلاع عن الإصرار والتوبة عما اجترحوا من الأوزار، وفزعوا إلى الصدقة بالأموال، فصرفت عنهم النار ذات اليمين وذات الشمال وظهر حسن بركة نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أمته وُيمن طلعته في رفقته. ولعل التنفس حصل من الأرض لما تزلزلت، وتزايلت عن مركزها الأول وتخلخلت[١].

وأما إضاءة أعناق الإبل ببصرى فقد جاء من أخبر به، فإذا ثبت هذا فقد صحّت الإمارات وتمت العلامات وإن لم يثبت فيحمل إضاءة أعناق الإبل ببصرى على وجه المبالغة، وذلك في لغة العرب سائغ. وفي باب التشبيه في البلاغة بالغ وللعرب في التصرف في المجاز ما يقتضي للغتها بالسبق في الإعجاز، وعلى هذا يكون القصد بذلك التعظيم لشأنها والتفخيم لمكانها والتحذير من فورانها وغليانها، وقد وجد ذلك على وفق ما أخبر وقد جاء من أخبر أنه أبصرها من تيماء وبصرى على مثل ما هي من المدينة في البعد فتعين أنها المراد وارتفع الشك والعناد، وأما النار التي تحشر الناس فنار أخرى[٢].

ومع علامة جديدة من علامات اقتراب الساعة، وفتنة من فتن أخر الزمان، ومن نص الحديث وشروحه، يتضح أنها علامة متكررة، حدثت وستحدث، وهو ما يجعل كلام المصطفى مطابقا للحال في كل زمان

١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٢١٢)
٢ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٠٤)

ومكان، فقد عبر بالفعل المضارع الذي يفيد التجدد والحدوث، فالفعل تجدد حدوثه، وسيتجدد وقوعه حتى تقوم الساعة.

صور المصطفى صلى الله عليه وسلم بالكلمات هذه الصورة المرعبة، فبدأ بقوله (لا تقوم الساعة حتى....) والتي بدأ بها علامات أخرى في أحاديث أخر، تنبيها ولفتا للذهن، لكي يتلقى القادم بعدها بشغف واهتمام، فإن الأمر جد خطير، ولابد لكل مسلم أن يعد العدة ليقابل تلك الفتن المتتابعة تترى كقطع الليل المظلم، نسأل الله السلامة في ديننا.

وللمبالغة في التصوير وبعيدا عن القول بالاستعارة في قوله (تضيء أعناق الإبل في بصرى) حيث أخبر بعض شراح الحديث أنه يمكن أن يكون ذلك على الحقيقة، فإن نظم الكلام واختيار اسم هذه المنطقة التي تعد بعيدة عن المدينة، استحضار لصورة مرعبة مفزعة أمام كل من يتأتى منه الرؤية، فهي نار من عظمتها وجد لها بريق على أعناق الإبل في بصرى، وهي مدينة في الشام، وأين الشام من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والاستعارة هنا في التعبير بتضيء أعناق الإبل، فإن الإبل لا يكون من أعناقها ضوء، ولكنه أراد مبالغة التصوير في قدر هذه النار وضوؤها الذي يخيل للرائي أنه جعل أعناق الإبل تضيء من شدة لمعانها، من انعكاس لهب النار عليها.

المبحث الثالث: الإخبار عن كثرة الكذابين وقرب خروج الدجال ويأجوج ومأجوج

أولا: كثرة الكذابين وظهور الدجال

١-حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ[١].

٢-حديث ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: إِنِّي أُنْذِرُ كُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ وَلكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ[٢].

٣-حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا، بَيْنَ ظَهْرَيِ النَّاسِ، الْمَسِيحَ الدَّجَالَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ[٣].

٤-حديث أَنَسٍ[٤] رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلاَّ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلاَ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ[١].

---

١ أخرجه البخاري في: ٦١ كتاب المناقب: ٢٥ باب علامات النبوة في الإسلام وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٦)

٢ أخرجه البخاري في: ٥٦ كتاب الجهاد: ١٧٨ باب كيف يعرض الإسلام على الصبي وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٨)

٣ أخرجه البخاري في: ٦٠ كتاب الأنبياء: ٤٨ باب واذكر في الكتاب مريم وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٨).

٤ أنس بْن مالك بْن النضر بْن ضمضم بْن زيد بْن حرام بْن جندب بْن عامر بْن غنم بْن عدي بْن النجار واسمه: تيم اللَّه بْن ثعلبة بْن عمرو بْن الخزرج بْن حارثة الأنصاري الخزرجي النجاري. من بني =

٥-حديث حُذَيْفَةَ قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو[٢] لِحُذَيْفَةَ: أَلاَ تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ مَعَ الدَّجَالِ، إِذَا خَرَجَ، مَاءً وَنَارًا فَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهَا النَّارُ، فَمَاءٌ بَارِدٌ وَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، فَنَارٌ تُحْرِقُ فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ، فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّها نَارٌ، فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ[٣].

=

عدي بْن النجار. خادم رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ = =كان يتسمى به، ويفتخر بذلك، وكان يجتمع هو، وأم عبد المطلب جدة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واسمها: سلمى بنت عمرو بْن زيد بْن أسد بْن خداش بْن عامر في عامر بْن غنم، عن أنس، قال: قدم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة وأنا ابن عشر سنين، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة. وقيل: خدم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر سنين، وقيل: خدمه ثمانيًا، وقيل: سبعًا. وهو من المكثرين في الرواية عن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ودعا له رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكثرة المال والولد فولد له من صلبه ثمانون ذكرًا، وابنتان، واختلف في وقت وفاته، ومبلغ عمره، فقيل: توفي سنة إحدى وتسعين، وقيل: سنة اثنتين وتسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين، وقيل: سنة تسعين. وهو آخر من توفي من الصحابة بالبصرة. أسد الغابة ط العلمية (١/ ٢٩٤)

١ أخرجه البخاري في: ٩٢ كتاب الفتن: ٢٦ باب ذكر الدّجّال وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٨).

٢ عقبة بْن عَمْرو بْن ثعلبة بْن أسيرة وقيل: ثعلبة بْن عسيرة، وقيل: ثعلبة بْن أسيرة بْن عسيرة بْن عطية بْن خدارة بْن عوف بْن الحارث بْن الخزرج، وقيل: عقبة بْن عَمْرو بْن ثعلبة بْن أسيرة بْن عسيرة بْن عطية، أَبُو مَسْعُود البدري، وهو مشهور بكنيته. ولم يشهد بدرًا وإنما سكن بدرًا، وشهد العقبة الثانية، وكان أحدث من شهدها سنًا، قاله ابْنُ إِسْحَاق، وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وقَالَ الْبُخَارِيّ، وغيره: إنه شهد بدرًا، ولا يصح. وسكن الكوفة، وكان من أصحاب عليّ، واستخلفه علي عَلَى الكوفة لما سار إِلَى صفين. شهد أحدا وما بعدها، ونزل الكوفة، وكان من أصحاب عليّ، واستخلف مرة على الكوفة. مات قبل سنة أربعين. وقال المدائني: مات سنة أربعين. أسد الغابة ط العلمية (٤/ ٥٥) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٣٢)

٣ أخرجه البخاري في: ٦٠ كتاب الأنبياء: ٥٠ باب ما ذكر عن بني إسرائيل وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن.اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٩).

٦-حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَّالِ، مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
فالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ، هِيَ النَّارُ وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ[1].

التحليل البلاغي والشرح:

١-حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ.

(لا تقوم الساعة حتى يُبعَث) يخرج ويظهر (دجالون) يقال دجل فلان الحق بباطله أي غطاه ويطلق على الكذب أيضًا، وحينئذٍ فيكون قوله (كذابون) تأكيدًا (قريبًا) نصب حال من النكرة الموصوفة (من ثلاثين) نفسًا، وفي مسلم من حديث جابر بن سمرة: إن بين يدي الساعة ثلاثين كذابًا فجزم بذلك (كلهم يزعم أنّه رسول الله) بتسويل الشيطان لهم ذلك مع قيام الشوكة لهم وظهور شبهة كمسيلمة باليمامة والأسود العنسي باليمن وكان ظهورهما في آخر الزمن النبوي، فقتل الثاني قبل موته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومسيلمة في خلافة أبي بكر وفيها خروج طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة وسجاح التميمية في بني تميم، ثم تاب طليحة ومات على الإسلام على الصحيح في خلافة عمر، وقيل وتابت المرأة. وفي أول خلافة ابن الزبير خرج المختار بن أبي عبيد الثقفي وتغلب على الكوفة ثم ادّعى النبوة وزعم أن جبريل يأتيه وقُتل في سنة بضع وستين، وفي خلافة عبد

[1] أخرجه البخاري في: ٦٠ كتاب الأنبياء: ٣ باب قول الله عز وجل (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٩).

الملك بن مروان خرج الحرث فقتل، ثم خرج في خلافة بني العباس جماعة ادعوا ذلك بسبب ما نشأ لهم عن جنون أو سوداء وقد أهلك الله من وقع له ذلك منهم [١].

٢-حديث ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: إِنِّي أُنْذِرُ كُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ وَلكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ.

(إني أنذركموه وما من نبي إلا قد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه)، خصّ نوحًا بالذكر لأنه أبو البشر الثاني أو أنه أول مشرع (ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وإن الله ليس بأعور)[٢].

٣-حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا، بَيْنَ ظَهْرَيِ النَّاسِ، الْمَسِيحَ الدَّجَالَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ[٣].

(بَيْنَ ظَهْرَيِ النَّاسِ)أي جالسًا في وسط الناس مستظهرًا لا مستخفيًا قَوْله: (أَلا أَن الْمَسِيح) ، كلمة ألاَ، للتّنْبِيه كَأَنَّهُ يُنَبه السامعين ليكونوا على ضبط من سَماع كَلَامه. قَوْله: (أَعور الْعين الْيُمْنَى) ، عين الجثة أَو الْجِهَة الْيُمْنَى، وَفِي رِوَايَة ابْن مَاجَه عَن حُذَيْفَة، قَالَ: قَالَ رَسُول الله، صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: الدَّجَّال أَعور عين الْيُسْرَى، وَالْجمع بَينهمَا أَن يقدر فِيهَا أَن إِحْدَى عَيْنَيْهِ ذَاهِبَة وَالْأُخْرَى مَعِيبَة، فَيصح أَن يُقَال لكل وَاحِدَة: عوراء،

١ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٦/ ٥٧)

٢ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ١٧٢)

٣ أخرجه البخاري في: ٦٠ كتاب الأنبياء: ٤٨ باب واذكر في الكتاب مريم وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٨).

إِذْ الأَصْل فِي العور الْعَيْب. قَوْله: (كَأَن عينه عنبة طافية) ، الطافية الناتئة عَن حد أُخْتهَا من الطفو، وَهُوَ أَن يَعْلُو المَاء مَا وَقع فِيهِ وَيُقَال: طافئة، بِالْهَمْز أَي: ذَاهِب ضوؤها، وَبِدُون الْهَمْز: أَي ناتئة بارزة، وَقَالَ الْخطابِيّ: العنبة الطافية هِيَ الْحبَّة الْكَبِيرَة الَّتِي خرجت عَن حد أخواتها. قلت: طافية بِلَا همز من طفا الشَّيْء يطفو من بَاب معتل اللَّام الواوي وبالهمزة: من طفأ يطفأ من بَاب علم يعلم، يُقَال: طفئت النَّار تطفأ طفؤاً، وأطفأتها أَنا. [1]

٤-حديث أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلاَّ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلاَ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ.

(ما بعث نبي إلاّ أنذر أمته الأعور الكذاب ألا) ألا حرف تنبيه (إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور) وقال عليه الصلاة والسلام ذلك تنبيهًا للعقول على حدوثه ونقصه، وإنما اقتصر على وصف الدجال بالعور مع أن أدلة الحدوث كثيرة ظاهرة لأن العور أثر محسوس يدركه كل أحد فدعواه الربوبية مع نقص خلقته علم كذبه، لأن الإله يتعالى عن النقص (وإن بين عينيه مكتوب كافر) أي بين عينيه شيء مكتوب وذلك الشيء هو كلمة كافر، وزاد أبو أمامة عند ابن ماجة يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب وهذا إخبار بالحقيقة لأن الإدراك في البصر يخلقه الله للعبد كيف شاء ومتى شاء فهذا يراه المؤمن بعين بصره ولو كان لا يعرف الكتابة ولا يراه الكافر ولو كان يعرف الكتابة[2].

١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ٣٣)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٤١٤)
٢ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٢١٢،٢١١)

٥-حديث حُذَيْفَةَ قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو لِحُذَيْفَةَ: أَلاَ تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ مَعَ الدَّجَالِ، إِذَا خَرَجَ، مَاءً وَنَارًا فَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهَا النَّارُ، فَمَاءٌ بَارِدٌ وَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، فَنَارٌ تُحْرِقُ فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ، فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّها نَارٌ، فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ.

٦-حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَّالِ، مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ، هِيَ النَّارُ وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ[1].

يقول: (إن مع الدجال إذا خرج ماء ونارًا، فأما الذي) ولأبي ذرّ عن الكشميهني: "فأما التي" (يرى الناس أنها النار فماء بارد، وأما الذي يرى الناس أنه ماء بارد فنار تحرق؛ فمن أدرك) ذلك (منكم فليقع في الذي يرى أنها نار فإنه) ماء (عذب بارد)[2].

(ألا) بالتخفيف (أحدثكم حديثًا عن الدجال ما حدّث به نبي قومه: إنه) أي الدجال (أعور وإنه يجيء معه) إذا ظهر (بمثال الجنة) ومثال (النار) أي صورة الجنة والنار يبتلي الله تعالى به عباده بما أقدره عليه من مقدوراته كإحياء الميت الذي يقتله وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت بقدرة الله تعالى ومشيئته، وفي مسلم عن أبي هريرة: "وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار، فالتي يقول إنه جنة هي النار وهذا من فتنته التي امتحن الله بها عباده، ثم يفضحه الله تعالى ويظهر عجزه" ، فيقتله

١ أخرجه البخاري في: ٦٠ كتاب الأنبياء: ٣ باب قول الله عز وجل (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩١٩).

٢ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٤٢٠)

عيسى عليه السلام (فالتي يقول إنها الجنة هي النار) وبالعكس (وإني) بالواو أو لابن عساكر فإني (أنذركم) أخوّفكم منه (كما أنذر به نوح قومه). وكذا غيره من الأنبياء كما مرّ، وذلك لأن فتنته عظيمة جدًا تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره في الأرض فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء دلائل الحدوث والنقص فيصدقون بصدقه في هذه الحالة، فلذا حذرت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قومهم من فتنته ونبهوا عليه[1].

ويلاحظ في الأحاديث الستة ترقي البيان النبوي، من إخبار عن دجالين ومدعي النبوة، إلى مدعي الألوهية الدجال الأعور، ويأتي الحديث الأول يخبر مجرد إخبار أن هناك قرابة الثلاثين من سيدعون النبوة، وكلهم سيزعم أنه رسول، مصدرا حديثه بقوله في أغلب حديث أشراط الساعة وآخر الزمان(لاتقوم الساعة حتى...) ذلك الأسلوب الذي ينبه المتلقي لما يلقى بعد هذا التمهيد، ثم يأتي الحديث الثاني فيترقى الخطاب النبوي ليخبر عن الالكذاب الأكبر، والذي لا يدعي النبوة كسابقيه، بل يتقدم الزمن وتقترب الساعة، ليأتي مدعي الألوهية رغم عيبه ونقصه، ولشدة فتنته فقد أنذر كل نبي قومه هذا الدجال، من لدن نوح عليه السلام أبو البشر الثاني.

وفي إيجاز بليغ من الرسول المعلم يقول: إني أنذركموه، جملة مستوفية الأركان مؤكدة، ثم يوضح سبب الإنذار في أسلوب قصري، (وما من نبي إلا أنذره قومه) حيث قدم احد المفعولين على الأخر اهتماما بشن ذلك المقدم لأنه المعني بالإنذار، ثم زاد النبي صلى الله عليه وسلم في إنذاره بأية من أيات إعحاز إذ أخبره ربه بعلامة بارزة في ذلك الدجال، لم يخبر بها نبي قبله، أن الدجال أعور، والله كامل منزه عن النقص والعيب

١ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٣٢٨)

جل في علاه، وختم الحديث "وأن الله ليس بأعور" جملة تؤكد المعنى وتحسن ختام الحديث. ليكون ما بعده إخبار بشيء جديد وترق لمرتبة أعلى في البيان المخبر عن هذا الدجال، في الحديث الثالث، فبدأ الحديث بما ختم به الثاني فقال: "إن الله ليس بأعور، ثم أكد ب"ألا" و"إن" على أن الدجال أعور العين اليمنى، فزاد معنى الحديث عما سبقه، وترقي الخطاب لدرجة أعلى في الوضوح والبيان. ثم زاد فشبه تلك العين بالعنبة الطافية، تصويرا لتلك الصورة المقززة المعيبة، التي لا يمكن معها ادعاء النبوة، وهي في البشر، فما بالنا بادعاء الألوهية، والعجب كل العجب لمن يصدق هذا ويتبعه!

ثم يأتي الحديث الرابع ليؤكد ويزيد التأكيد تأكيدا، على حقيقة الدجال وصفته، ولكنه يرتفع بالمعنى درجة أعلى (وإن بين عينيه مكتوب كافر).

هذا الحديث يبدأ بالجملة القصرية التي تؤكد على أن كل الرسل والأنبياء أنذروا أقوامهم الدجال الكذاب الأعور، ويؤكد بأدوات التأكيد تثبيتا للمعنى، وتحفيظا لمن سمع، وتنبيها لمن لم يسمع (ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور)، ثم يزيل الحديث بالمعنى الجديد الذي لم يسبق في باقي الأحاديث وهو أنه مكتوب على جبهته كافر، يقرأها العالم والأمي، كما جاء في بعض روايات الحديث.

ثم يأتي الحديثان الأخيران ليوضحان وسيلة الدجال لفتنة الناس، بأن معه ماء ونار، ومعه بمثال الجنة والنار، الحديث الأول يذكر الماء والنار، ويترقى الحديث الأخير ليبرز الصورة مكتملة واضحة المعالم، لفتنة ذلك الدجال، فهو أعور، ومكتوب بين عينيه كافر، ومعه مثال الجنة والنار، فتنة عظيمة لا ينجو منها إلا من أراد الله، وتعوذ من شر تلك الفتنة دبر كل الصلاة وقبل التسليم من التشهد الأخير كما ورد عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم، وقرأ سورة الكهف، وحفظا عشرا منها، كما جاء في فضائل سور القرآن. ولأن الحديث الأخير كجامع لكل معاني الأحاديث السابقة عليه، بدأ بذلك الاستفهام التحضيضي الذي يراد به تحفيز الأذهان للتلقي لتعي ما يقال وتلزم.

(ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه؟" ولم ينتظر جوابا، بل كان السؤال لشد الانتباه وإيقظ الذهن. وهو وسيلة تعليمية وأداة لخلق دافع، ولأن في السؤال إبهام ويأتي الجواب ليزيل الإبهام ويوضحه.

فائدة الإيضاح بعد الإبهام: تمكين المعنى في نفس المتلقي تمكينا زائدا لوقوعه بعد استشراف النفس إليه بالإبهام، وتكميل لذة العلم به إذ بدأت ناقصة بالإبهام وكملت بالإيضاح، فالشيء إذا عرف ناقصا تشوقت النفس إلى العلم به كاملا، وحصل لديها ظمأ لمعرفته فإذا استكملت النفس معرفته كانت لذتها أشد من حصول العلم به دفعة واحدة[١].

لقد بلغ أسلوب الحديث الشريف حدا رفيعا من التميز وقوة الأداء، لما تضمنته جمله من خصائص بلاغية تتصل بقوة الألفاظ في مواضعها، من جهة، وقوة اتساقها مع غيرها صوتا وأثرا من جهة ثانية، والقدرة على حسن تقسيم الجمل تقسيما يتيح للذهن أن يشبع رغبته في التطلع لما خفي عليه، متمشيا مع الانفعال النفسي داخل السياق[٢].

وأخيرا كان للطباق دوره في استحضار صورة الضد في الذهن في الحديث الثاني والثالث والرابع، حيث طابق بين أعور و(ليس بأعور) طباق سلب؛ ليوضح الفرق بين الكذب والحقيقة، ثم جاء الحديثان الخامس

١ البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ج٢/ ٦٦، ٦٧

٢ من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف– د/ فتحية محمود فرج العقدة– مطبعة الأمانة– ط١– ١٩٩٣م. ص٨٤ باختصار

والسادس ليساعد الطباق في تصور وتصوير أدورات الدجال التي يفتن بها الناس، فمعه ماء بارد، باطنه نار تحرق، والعكس ، ومعه مثال الجنة والنار، فجنته نار وناره جنة.

إن البيان النبوي واضح غاية الوضوح في الحديث عن الفتن، كلامه لا يحتمل التأويل، ليكون للعامين نذيرا، وليحفظ أمته من شر الفتن المهلكة، التي أخبر بحدوثها بعلم أطلعه الله عليها. صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: خروج يأجوج ومأجوج

١-حديث زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ[١]، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمأجُوجَ مِثْلُ هذِهِ وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا قَالَتْ زَيْنَبُ ابْنةُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ[٢].

١ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ بْنِ رِيَابِ بْنِ يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ. وَأُمُّهَا أميمة بِنْت عَبْد المُطَّلِب بْن هاشم بن عبد مناف بن قصي. وَكَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ مِمَّنْ هَاجَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِلَى الْمَدِينَةِ. وَكَانَتِ امْرَأَةً جَمِيلَةً فَخَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لا أَرْضَاهُ لِنَفْسِي وَأَنَا أَيِّمُ قُرَيْشٍ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهُ لَكِ. فَتَزَوَّجَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ. قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ يَوْمًا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا كَأَحَدٍ مِنْ نِسَائِكَ. لَيْسَتِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِكَ إِلا زَوَّجَهَا أَبُوهَا أَوْ أَخُوهَا وَأَهْلُهَا غَيْرِي. زَوَّجَنِيكَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ. وَكَانَتِ امْرَأَةً صَالِحَةً صَوَّامَةً قَوَّامَةً صَنْعًا تَتَصَدَّقُ بِذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى الْمَسَاكِينِ. تُوُفِّيَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ وَهِيَ ابْنَةُ ثَلاثٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَتُوُفِّيَتْ سَنَةَ عِشْرِينَ. الطبقات الكبرى ط العلمية (٨/ ٨٠: ٩١)

٢ أخرجه البخاري في: ٦٠ كتاب الأنبياء: ٧ باب قصة يأجوج ومأجوج وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩٠٨)

٢-حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَتَحَ اللهُ مِنْ رَدْمِ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مِثْلَ هذَا وَعَقَدَ بِيَدِهِ تِسْعِينَ[١].

التحليل البلاغي والشرح:

دخل عَلَيْهَا فَزعًا يَقُول لَا إِلَه إِلَّا الله ويل للْعَرَب من شَرّ قد اقْترب فتح الْيَوْم من ردم يَأْجُوج وَمَأْجُوج مثل هَذِه وَحلق بِأُصْبُعِهِ الْإِبْهَام وَالَّتِي تَلِيهَا قَالَت زَيْنَب ابْنة جحش فَقلت يَا رَسُول الله أنهلك وَفينَا الصالحون قَالَ نعم إِذا كثر الْخبث) قَوْله: (فَزعًا) أَي: خَائفًا مِمَّا أخبر بِهِ أَنه يُصِيب أمته. قَوْله: (ويل) ، كلمة تقال لمن وَقع فِي هلكة وَلَا يترحم عَلَيْهِ، و: وَيْح، كلمة تقال لمن وَقع فِي هلكة يترحم عَلَيْهِ. قَوْله: (للْعَرَب) ، يَعْنِي: للْمُسلمين، لِأَن أَكثر الْمُسلمين الْعَرَب ومواليهم. قَوْله: (من ردم يَأْجُوج وَمَأْجُوج) ، أَي: من سدهم. قَوْله: (بإصبعه) أَي: الْإِبْهَام، قَوْله: {أنهلك وَفينَا الصالحون؟} أَرَادَت: أيقع الْهَلَاك بِقوم وَفِيهِمْ من لَا يسْتَحق ذَلِك؟ (قَالَ: نعم إِذا كثر الْخبث) أَي: الزِّنَا، وَقيل: إِذا عز الأشرار وذل الصالحون[٢].

إنما خص العرب بالذكر لأنهم أول من دخل في الإسلام وللإنذار بأن الفتن إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم[٣] .

وَقَالَ الْكرْمَانِي: وخصص الْعَرَب بِالذكر لِأَن شرهم بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا أَكثر مَا وَقع بِبَغْدَاد من قَتلهمْ الْخَلِيفَة. انْتهى. قلت: لم تقتل الْخَلِيفَة العربُ وَإِنَّمَا قَتله هولاكو من أَوْلَاد جنكيزخان، والخليفة هُوَ المستعصم بِاللَّه، وَكَانَ قَتله فِي سنة سِتّ وَخمسين وسِتمِائَة. قَوْله: من ردم هُوَ السد الَّذِي بناه ذُو

١ أخرجه البخاري في: ٦٠ كتاب الأنبياء: ٧ باب قصة ياجوج وماجوج وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن.اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩٠٩)

٢ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/ ٢٣٧)، (١٦/ ١٣٦)، (٢٤/ ٢٢٠)

٣ فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ١١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/ ٢٣٧)

القرنين. قَوْله: أفنهلك؟ بِكَسْر اللَّام. قَوْله: الْخبث بِفَتْح الْخَاء الْمُعْجَمَة وَهُوَ الْفسق وَقيل: هُوَ الزِّنَى خَاصَّة. وقيل: خص العرب بالذكر إشارة إلى ما وقع من قتل عثمان منهم أو أراد ما يقع من مفسدة يأجوج ومأجوج أو من الترك من المفاسد العظيمة في بلاد الإسلام، والظاهر أنه المعاصي مطلقًا[١].

أما الحديث الثاني:

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَتَحَ اللهُ مِنْ رَدْمِ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مِثْلَ هذَا وَعَقَدَ بِيَدِهِ تِسْعِينَ[٢].

(فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين) والمراد بالتمثيل التقريب لا حقيقة التحديد، وقد سبق أنهم يحفرون كل يوم حتى لا يبقى بينهم وبين أن يخرقوه إلا يسير فيقولن غدًا نأتي فنفرغ منه فيأتون إليه فيجدونه عاد لهيئته، فإذا جاء الوعد قالوا عند المساء غدًا إن شاء الله تعالى فإذا أتوا نقبوه وخرجوا[٣].

إن أول ما يطالعنا في الحديث الأول هو كلمة التوحيد، "لا إله إلا الله" جملة قصرية بطريق النفي والاستثناء، كان صلى الله عليه وسلم دائم الذكر لها في الرضا والغضب، وحتى عند العجب، وهنا يتعجب مما أطلعه ربه عليه من الغيب، من فتن تترى، تتابع حتى قرب نهاية الدنيا، وهي خروج يأجوج ومأجوج. والنفي والاستثناء سبيل من سبل خطاب المنكر

١عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٢٢٠)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٣٣٩)

٢ أخرجه البخاري في: ٦٠ كتاب الأنبياء: ٧ باب قصة ياجوج وماجوج وصحيح مسلم- ج٢/ كتاب الفتن.واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ٩٠٩)

٣ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٣٣٩، ٣٤٠)

الذي لا يقنع، ولكن كلمة التوحيد هنا جاءت للتنبيه لما سيتلوها من كلام، وما يعقبها من إخبار.

ولي كلمة التوحيد الدعاء بالويل، والهلاك، والويل واد في جهنم، والويل في الحديث مخصوص للعرب، لأنهم هم أول أمة الإسلام وقد وقع فيهم من الفتن والمهالك ما بشر بها الصادق المصدوق، من هلاك على يد التتار، والمغول، لذا كانوا المعنيين بالتحذير هنا، ومن دان بدينهم من بعدهم.

ويلاحظ جمال الإيقاع المتولد من حسن فواصل الجمل، بين "عرب" و "اقترب" وما خلفه وراءه من انتباه يقظ، وحس مستيقظ لما سيتلو من بيان لهذا الشر المقترب.

وقد أثر البيان النبوي هنا استخدام كلمة الردم دون غيرها، تأثرا بالقرآن الكريم، فقد استخدمها في نفس الموضوع، كما أن الأصل اللغوي ينبئ عن دقة استخدام البيان القرأني والنبوي لهذه الكلمة فجاء في اللسان: ردم: الرَّدْمُ: سَدُّكَ بَابًا كُلُّهُ أَو ثُلْمَةً أَو مَدْخَلًا أَو نَحْوُ ذَلِكَ. يُقَالُ: رَدَمَ البابَ والثُّلْمَةَ ونحوَهما يَرْدِمُهُ، بِالْكَسْرِ، رَدْماً سدَّه، وَقِيلَ: الرَّدْم أَكثر مِنَ السَّدّ، لأَن الرَّدْمَ مَا جُعِلَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَالِاسْمُ الرَّدْمُ وَجَمْعُهُ رُدُومٌ. والرَّدْمُ: السَّدُّ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ يَأْجوج ومَأْجوج. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً. وَفِي الْحَدِيثِ: فُتِح اليومَ مِنْ رَدْمِ يأْجوج ومأْجوج مثلُ هَذِهِ، وعَقَدَ بِيَدِهِ تِسْعِينَ[1].

وأخيرا التمثيل بالإشارة والذي تكرر بين الحديثين وهو وسيلة إفهام، وطريقة لتقريب المعنى وربطه بإشارة أثبت في الحفظ دون خلوه منها.

١ لسان العرب مادة ردم

وأخيرا:

فإن البيان النبوي لم يقصر في شيء، ولم يبالغ في شيء حد النفور، بل اتسق له من هذا الأمر على كمال الفصاحة والبلاغة ما لو أراده مريد لعجز عنه، ولو هو استطاع بعضه لما تم له في كل كلامه، لأن مجرى الأسلوب على الطبع، والطبع غالب مهما تشدد المرءُ وارتاض ومهما تثبت وبالغ في التحفظ. هذا إلى أن اجتماع الكلام وقلة ألفاظه، مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيد ولا تكلف، ومع إبانة المعنى واستغراق أجزائه، وأن يكون ذلك عادة وخلقاً يجري عليه الكلام في معنى معنى وفي باب باب – شيء لم يعرف في هذه اللغة لغيره – صلى الله عليه وسلم – فكان تيسير ذلك للنبي – صلى الله عليه وسلم – واستجابته على ما يريد وعلى النحو الذي خرج به – نوعاً من الخصائص التي انفرد بها دون الفصحاء والبلغاء وذهب بمحاسنها في العرب جميعاً. وهذا هو الذي كان يَعْجَب له أصحابه، ويرونه طبقة في هذا اللسان وطرازاً لا يحسنه إنسان، حتى إن أبا بكر رضي الله عنه قال له مرة: لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم، فما سمعت أفصح منك؛ فمن أدبك (أي علمك) ؛ قال: " أدبني ربي فأحسن تأديبي"[١].

١ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (ص: ٣٠٠، ٣٠١) بتصرف

خاتمة

بعد هذه الرحلة غير العادية مع أحداث غير عادية، حدثت وتحدث وستحدث في أزمنة متتالية إلى قيام الساعة، ووقوف جميع المخلوقات أمام رب البرية، يطيب للبحث أن يرصد بعد الومضات والنتائج لدراسة هذا البيان العالي من أحاديث خير البرية، ويمكن إجمال أهمها فيما يأتي:

-كان من خصائص أسلوبه قوة تركيز العبارة واشتمالها على عناصر تتنوع بتنوع الموقف التي تدل عليه، تعبيرا وتأثيرا في إطار من الإيجاز الذي تنتقى ألفاظه انتقاء دالا، له من الثراء والعمق ما يحقق غايته.

-قل كلامه وخرج قصداً في ألفاظه، محيطاً بمعانيه، تحسب النفس قد اجتمعت في الجملة القصيرة والكلمات المعدودة بكل معانيها: فلا ترى من الكلام ألفاظاً ولكن حركات نفسية في ألفاظ، وإشارات تساعد على حسن إفهام المعتى.

-تدرج البيان النبوي في حديثه عن الفتن، فكان من أخبر عنها مرة واحدة، وكان من الفتن من أنذر من ملابستها، حذرا وخوفا من سوء عاقبتها، ككثرة القتل، والتحذير من الجدال.

-ترقى البيان النبوي في حديثه عن الدجال، فجاء في كل حديث بمعنى جديد زائد عن غيره، وبدأ بدون تأكيد ثم تدرج كذلك في التأكيد ترهيبا وتخويفا وإنذارا.

-تنوعت ألوان البلاغة التصويرية بين تصوير بالكلمة وبالإيقاع والتشبيه وبالاستعارة، وحتى بالإشارة، لاستجلاء المعنى وحن توصيله للأفهام.

-تعددت عبارة (لاتقوم الساعة حتى...) كدلالة أشبه بالشرطية لتدلل على صدق وقوع ما يكون بعدها، مهما بدى مستبعدا وغريبا على الأفهام.

-كل العلامات وغيرها مما لم يتناولها هذا البحث دليل واضح على بيانه العالي، وصدق نبوته صلى الله عليه وسلم، فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

-وأخيرا فإن ثراء الاحتمالات في توجيه النص وتعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد طبيعة في البيان العالي، وسمة من سمات الكلام الأول لأنها تتكاتف ليفسر بعضها بعضا، في محاولة لاستقصاء جوانب المعنى، وإدراك علاقاته، والسياحة في جوه وآفاقه.

رزقنا الله القبول في الدنيا وجنبنا الفتن ورزقنا شفاعة الصادق المؤتمن.
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

ثبت المصادر والمراجع

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري- أحمد بن محمد بن أبى بكر ابن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري- المطبعة الكبرى الأميرية، مصر- ط٧- ١٣٢٣ هـ
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير- ت:علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود -دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى- ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.
- الإصابة في تمييز الصحابة- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي-دار الكتاب العربي- بيروت- ط٨- ٢٠٠٥م.
- بلاغة تطبيقية .دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص- د/ بسيوني فيود- مطبعة الحسين- ط١- ١٩٩١م.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني- دار القلم- دمشق- ط١- ١٩٩٦م.
- البلاغة العربية في ثوبها الجديد لبكري شيخ أمين- دار العلم للملايين- بيروت- ط١- ١٩٨٢م .
- البيان والتبيين - الجاحظ – دار صعب- بيروت- ط١- ١٩٦٨م
- الحديث النبوي وعلم النفس- د/ محمد عثمان نجاتي- دار الشروق- ط٦ -٢٠٠٦م .
- صحيح مسلم- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
- الطبقات الكبرى - أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد - ت: محمد عبد

القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت– ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري – أبو محمد محمود بن أحمد ابن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ بن حجر العسقلاني–ت: طه عبد الرؤوف سعد– دار الغد العربي– القاهرة. وفتح الباري شرح صحيح البخاري– لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي– دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ
- كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري– محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي– مؤسسة الرسالة، بيروت– ط١– ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان– محمد فؤاد عبد الباقى – دار الفكر . بيروت
- لسان العرب لابن منظور– دار المعارف.
- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي – المحقق: عبد السلام محمد هارون– دار الفكر– ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف– د/ فتحية محمود فرج العقدة– مطبعة الأمانة– ط١– ١٩٩٣م.
- من فقه الفتن في ضوء السنة– د/ عبد الله شعبان– دار البشير للثقافة والعلوم– طنطا. ط١– ١٩٩٩م.

سابعًا :
اللغويات